صراحة
من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (2086) السنة الثامنة
الخميس (31) اذار 2011

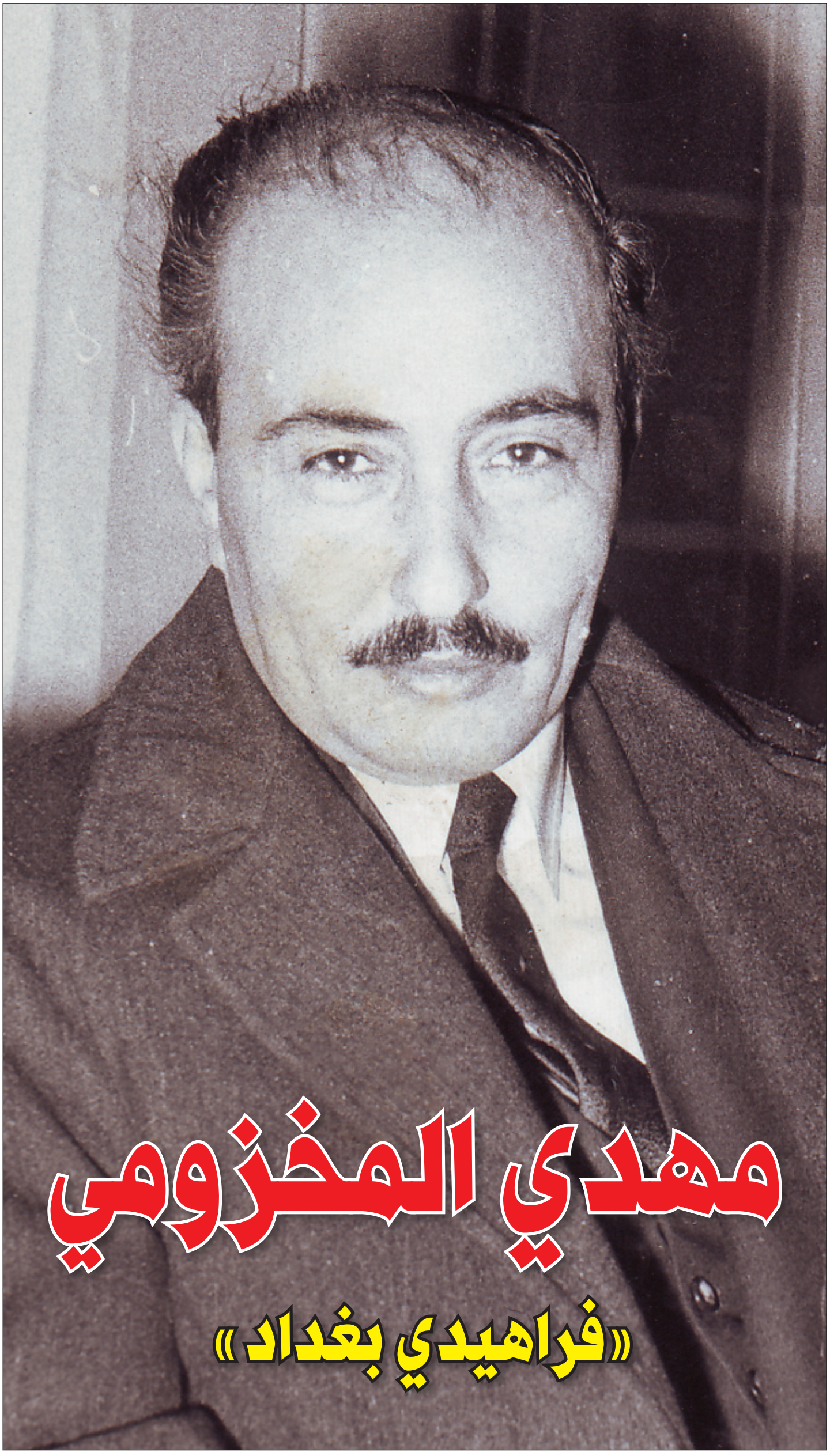

مهدي المخزومي
«فراهيدي بغداد»

14
الدكتور المخزومي بين النجف والقاهرة

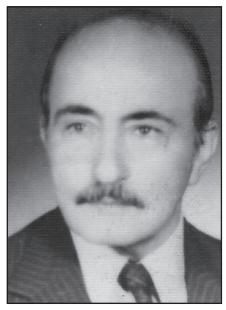

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2086)
السنة الثامنة
الخميس (31)
اذار 2011

صورة لطلبة واساتذة كلية الاداب ويبدو المخزومي في الوسط جالسا والى يساره الناقد الراحل د. عناد غزوان

إلى روح أستاذنا الجليل المرحوم الدكتور مهدي المخزومي..

ذكـــرى تبعـث الـذكـرى

أ.د.عناد غزوان إسماعيل
كاتب وناقد راحل

في أحد أيام عام ١٩٥٥ وفي احد أروقة دار المعلمين العالية في بغداد التقيته أول مرة، متأبطاً حقيبته الصغيرة التي لم تفارقه قط وفي بدلته السوداء المتواضعة التي كان يفضلها على غيرها...

وتكرر اللقاء حيث كان من رواد ندوات (جماعة الإنشاء الأدبي) التي كان يرعاها في الدار، أستاذنا الجليل المرحوم الدكتور علي جواد الطاهر، رعاية قل نظيرها ومثيلها عند غيره، وقد جمعت بعض مواهب طلبة الدار من قسم اللغة العربية، في الشعر والقصة والإنشاء والخطابة..

أقول التقيته عامئذ وجهاً هادئاً، سمحاً ومتواضعاً، يطفح البشر على محياه، موحياً بوقار العالم الجليل، وحياء الإنسان النبيل، وطلعة المثقف الأصيل، عينان شديدتا العمق، تجد الشمس فيها مرآتها... ومحياً تأتلف فيه الآمال... وتتطلع إليه بشغف وحب وحياء.. حديثه حديث عار من الثرثرة، غني بالرأي ودماثة الخُلق... وعرفت وأدركت فيما بعد إنني أمام نحوي بارع ولغوي لامع وأستاذ جليل ذي هيبة، هي هيبة العلم، وذي طموح هو طموح المبدع وذي جلال هو جلال الحقيقة العلمية والروح الأكاديمي المحض...

وعرفت انه كتب عن الخليل بن احمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، رسالة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة القاهرة بتقدير عال، بإشراف أستاذه الذائع الصيت المرحوم إبراهيم مصطفى صاحب (إحياء النحو) وأستاذه المرحوم أمين الخولي، أبي الأمناء والمجدد في فن القول والبلاغة.. أقول كتب عن الخليل بن احمد الفراهيدي الذي كان يرى فيه شخصية من المع الشخصيات العلمية وأقواها أثراً في تاريخ العراق العربي الإسلامي، وأغزرها نتاجاً، وأدقها فكراً، وأعمقها عقلاً، وأكثرها تجرداً لطلب العلم والإبداع في جوانبه المختلفة وموضوعاته المتعددة...شخصية انصرفت إلى تثبيت قواعد راسخة لحياة امتنا العقلية والى الإبداع في كل ما كانت تصبو إليه حياة فتية، هي حياة امتنا الصاعدة، المتطلعة إلى الإسهام في النهوض بالحضارة الإنسانية ودفعها إلى طريق تطورها وازدهارها... كان على رأس الطليعة التي مهدت للإنسانية طريق التطور العظيم...

هكذا كان يرى أستاذنا المرحوم الدكتور مهدي المخزومي، صاحبه الخليل الفراهيدي وقد كان يرى نفسه فيه متواضعاً، وإباءً، وعلماً وإبداعاً، وحباً وسخاءً، وسعياً مخلصاً نحو الحقيقة وإحياءً أصيلاً للنحو العربي الذي وجد في نفس المخزومي مستقره ومنتهاه، علماً يقوم اللسان ويفصح عن البيان، إذ حاول في دراسته وتدريسه، النظر إليه أسلوباً عربياً رائعاً، وصافياً بعيداً عن الشوائب والتفلسف والعلل، مع اجتهاد علمي أصاب فيه اجرين...

وكتب رسالته للدكتوراه عن (مدرسة الكوفة) بإشراف أستاذه النحوي والمحقق الجليل المرحوم مصطفى السقا... وكتب (في النحو العربي نقد وتوجيه) و(الدرس النحوي في بغداد) و(عبقري من البصرة).. وكتب مقالات وأبحاثاً وتعليقات وتعقيبات كثيرة، كلها تدور حول موضوع تخصصه (النحو العربي واللغة العربية).. وكان في كل ما كتب وألف المهدي المخزومي الذي لا يكذب أهله.. رائداً من رواد الدرس الأكاديمي، ومربياً فاضلاً جليلاً... هذا هو المخزومي الذي عرفته أستاذاً وصديقاً وأخاً وإنساناً، أقول هذا هو المخزومي (صحو يكاد من الغضارة يمطر).. أقول قلما وجد مجلس نحوي- لغوي أو صف جامعي، أو منتدى أدبي، إلا ارتوى منه، فهو حاضر فيه متحدثاً أو معلقاً أو صاحب رأي حصيف... فيه يفتخر النحو ويبتهج، وبه تجد النفس في سؤالها مبتغاها دونما تردد، إذ انه يمنح سائله دم قلبه وعصارة ذهنه مؤمناً الإيمان كله أن الجواب السليم عهد ووعد يستوجبان الوفاء والحرية لأنهما بعث للحقيقة العلمية وحصن حصين لها.. الحقيقة التي لاتشوبها روح المجاملة ولا روح التسطح والاستعلاء، غير الحلم وسداد الرأي والابتعاد عن العقم والجفاء...

لقد رحلت يا أبا مهند... رحلت وذرفنا عليك الدموع وودعناك واهتاجت في نفوسنا الحسرات.. واستيقظ في ضمائرنا الحنين إليك، حنين لطيم، يانقي الضمير، ويا صادق الكلمة ويا باسق الفعل والعمل، فالشجا يبعث الشجا، والأسى يخلق الأسى، والفراق يؤرقه المدى،... فهاهي دارك العامرة ثكلى وقد رحلت عنها جسداً ولكنك مقيم فيها روحاً متجدداً وذكرى متوردة تتحدى ريب الزمان وتبقى تنهل مما تركته من آثار علمية وأخلاق حميدة وسيرة طاهرة عفيفة ، أبية، سخية، نقية، فقد يتفرد السؤدد بالأسى والشجا وحوادث الأيام كثر...

فمكانك هنا أمامنا قائم يذكرنا بك نحوياً فذاً، ولغوياً رصيناً وأديباً مبدعاً... فلن يخلو مكانك ... وسلام عليك.

المقال كتب بعد رحيل المخزومي بغداد في 5/ 3/ 1999م

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2086)
السنة الثامنة
الخميس (31)
اذار 2011

تقييم نقدي

الدكتور مهدي المخزومي

رائد المدرسة العراقية لتيسير النحو العربي

عبد القادر البراك
صحفي راحل

كنت اود ان اكون اخر من يقول كلمة في اظهار مدى فاجعة اللغة العربية بارتحال احد كبار اساتذتها الافذاذ الدكتور مهدي المخزومي الى عالم البقاء، لاني وان كنت من اقدم اصدقائه –على البعد– ومن القلة القليلة التي تقدر القيمة الكبرى لكل ما اسداه للغة الضاد، كنت اود ان يسبقني الى اداء هذا الواجب من اترابه وزملائه في كافة مراحل الدراسة والتدريس كمن كان يقف منهم كتفا الى كتف في مضمار البحث اللغوي وفي التنقيب عن جوانب العبقرية والابداع في الاعلام القلائل الذين لم يفرغ الباحثون بعد من تعداد ما أسدوه لهذه اللغة من امثال (سيبويه) و(الخليل الفراهيدي) و(الفراء) وغيرهم لانهم اجدر واقدر من غيرهم في تعريف الاجيال الطالعة بمكان فقيدنا (المخزومي) بينهم!

ولعل من بين ما اخرني عن قول كلمة الوداع في الصديق الكبير في شخصه وعلمه، وفي كل ما نهد اليه من قول وعمل في مجال تخصصه خشيتي من السأم الذي قد يعتور نفوس بعض حين يواجهون لبعض ما أرسله من كلمات من مثل هذه المناسبات وما أخذ يعتادني من ملل يعقب كل ما اعتدت تأديته من واجب الوفاء لامثال فقيد كالدكتور مخزومي، حتى ليصح في قول (حافظ ابراهيم) في مثل هذا الموقف:

اني مللت وقوفي كل اونة
ابكي وانظم اشجانا باشجان
اذا تصفحت ديواني لتقرأني

وجدت شعر المراثي نصف ديواني ولكن الشعور بالواجب صرفني عن ان اتردد في كتابة بعض ما اثارته في الفاجعة بوفاة الدكتور المخزومي، الرجل الذي تهيأ لي التعرف عليه قبل انتقاله من دور الدراسة التقليدية (الجادة) القديمة في اول الاربعينات الى دور الدراسة العصرية الجديدة في (دار العلوم) في القاهرة، وقد كان في الدورين هو هو في الحياء والخفر والتواضع ولين الجانب حتى لقد كانت تحجب هذه الفضائل عن الرجل فضله وعلمه وتقصيه لكل ما حفلت به كتب الدرس من (متون) و(حواشي) و(تعليقات)، وعمق استكانه للنصوص الغامضة وقدرته على جلائها وايضاحها بالشكل الذي كان يستنزل الاعجاب والاكبار من البعيدين من قبل القريبين.

ولان لم تنل هذه المؤهلات من معاصري المخزومي في وطنه ما هي اهل له فقد انالته ما هو جدير به من اعجاب وتقدير الاستاذة الكبار الذين تلقى الدرس عنهم وسرعان ما استطاع ان ينال من تقديرهم ما رفعه الى المصاف الذين كانوا يحتلونه.

ذلك ان (المخزومي) قد اظهر لاساتذة دار العلوم بأنه الرائد العصري للمدرسة العراقية في تيسير النحو وان ما اعده من دراسات عن مدارس الكوفة والبصرة واعلامها وعن الدرس النحوي واعلامه، قد احله محل (ابن القرطبي) احد الاوائل الذين عملوا على تيسير النحو العربي وعلى هديه او على سراه اتم الرحلة الدكتور (ابراهيم مصطفى) في كتابه "المعجزة بتيسير النحو" متمما لكتاب "الرد على النحاة" الذي سبقه اليه (القرطبي) والذي جاء (المخزومي) ليكون ثالث اثنين كان لهما اكبر السعي في تنقية الدرس النحوي مما لحقته من زيادات زادت من غموض الواضح قبل ان توضح ما هو غامض من قواعد النحو حتى لقد برم الاستاذ (احمد حسن الزيات) مما الحق النحاة بعلم النحو من زيادات فثار ثورته الشهيرة في مقالة (آفة هذه اللغة النحو).

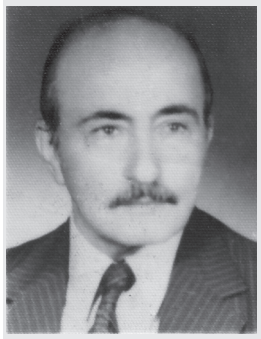

لقد فقدت اللغة العربية ودرسها النحوي في العصر الحديث والدراسات المتمدة في الدكتور المخزومي عالما عاملا، لم ياخذه الزهو بما احرز من شهادات وتقديرات، ولم يقعده البطر بما نالته اثاره من الاكبار والاجلال عن مواصلة الدرس، ولم تفارقه روح (الطلب) وهو على كرسي الاستاذية.

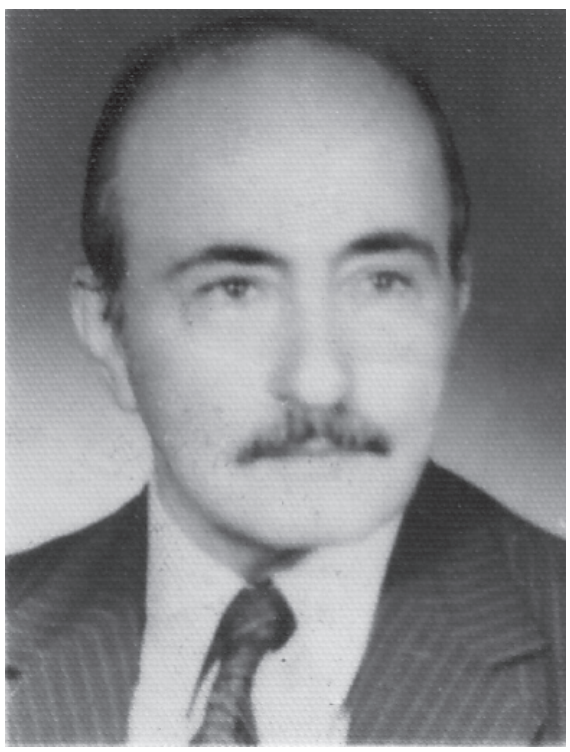

ولقد اكسبته سيرته الحميدة في الدراسة والادارة اعجاب من تلقوا عنه الدرس، او زاولوا في التدريس او نهلوا مما قدمه لهم من اثار التقدير الخالص والاحترام الكامل فلاغرو ان جارت الاوساط العلمية والادبية باشكوى لما كان يعانيه من اوصاب المرض، ومتاعب الحياة ولاغرو ان استشعرت هذه الاوساط وغيرها معظم الخسارة في فقده، استاذا، ومؤلفا، ورائدا لم يقصر في اداء دوره كرائد من رواد الدراسات الجادة لجعل النحو العربي علما تألفه الاجيال الطالعة ولابراز دور المدرسة العراقية القديمة في الاضطلاع بواجب التيسير الذي كان ولا يزال في موضعه من الاهتمام الذي وضعه فيه الدكتور مهدي المخزومي اسبغ الله عليه شابيب الرحمة والغفران، ويسر للاجيال الطالعة الانتفاع بما اعطاه لها من مؤلفاته الجديرة باعادة الطبع ومخطوطاته التي لا يقل الانتفاع المرجو منها باقل مما افادته اثاره الجليلة المطبوعة، وهذا اق ما يجزي به الفقيد كفاء ما اسداه من اياد للغة العربية.

القيت في اربعينية الراحل

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2086)
السنة الثامنة
الخميس (31)
اذار 2011

الدكتور مهدي المخزومي وجهوده في الدراسات النحوية واللغوية

عبد الحميد الرشودي

استأثرت رحمة الله ظهر يوم الجمعة السادس من آذار ١٩٩٣ بالاستاذ مهدي المخزومي فشق نعيه على عارفي فضله وطلابه الذين تأدبوا بادبه وتلمذوا له خلال اكثر من اربعة عقود.

وكان من غرائب الاتفاق ان يلفظ انفاسه الاخيرة وهو يجيب عن سؤال طرحه عليه احد زواره في ذلك اليوم هو الدكتور زهير غازي زاهد وبينما كان المخزومي مستغرقا في الاجابة اذا به يتوقف فجأة عن الكلام ويسند رأسه الى عصاه فظن زواره انه قد اغمي عليه فسارعوا الى الطبيب يستنجدونه فلما حضر وجده قد فارق الحياة.

ولد الفقيد في مدينة النجف الاشرف سنة ١٩١٩ في اسرة عربية نزحت من العمارة والقت عصا ترحالها في النجف الاشرف واتخذتها مستقرا ومقاما وينتسب افراد الاسرة الى جدهم الادنى زاير دهام وبعض منهم ينتسب الى الجد الاوسط كالشيخ علي الخالدي اخي الدكتور مهدي وقد اختار الدكتور مهدي الانتساب الى الجد الاعلى فعرف بالمخزومي.

نشا لمخزومي في بيئة علمية ادبية فوالده الشيخ صالح كان من الفقهاء وخاله الشيخ محمد حسين (١٨٧٨-١٩٣٧) كان فقيها اصوليا عروضيا خطاطا وقد اورد المرحوم علي الخاناقي نماذج من شعره في شعراء الغري استغرقت الصفحات (٦-٨٦) من الجزء الثامن المطبوع في النجف سنة ١٩٥٥ وللشيخ محمد حسين ارجوزة في العروض شرحها ونشرها المرحوم السيد عبد الحميد الراضي بعنوان شرح تحفة الخليل في العروض والقافية (بغداد ١٩٦٨).

انتظم فتانا في حلقات الدروس الدينية ولكن الادب كان هاجسه فانتسب الى جمعية الرابطة العلمية الادبية في النجف وكانت تهدف الى بث الروح العربية وتنمية الشعور القومي وخدمة اللغة العربية وادابها وكان رئيسها الخطيب الشاعر محمد علي اليعقوبي ومن اعضائها البارزين الشاعر محمود الحبوبي –ابن اخي السيد محمد سعيد– ومحمد علي البلاغي صاحب مجلة البلاغ. وقد تشرب المخزومي بمبادئ هذه الجمعية ونهل من معناها الادبي مستفيدا توجيهات وارشادات الشيخ اليعقوبي والبارزين من اعضاء هذه الجمعية فلا عجب اذا ما رأينا اكثر الاسماء الادبية التي لمعت في افقنا الادبي قد درجت من عش هذه الجمعية كعبد الرزاق محي الدين وابراهيم الوائلي ومهدي المخزومي وهادي محي الخفاجي وغيرهم ممن يخطئهم العد ويفوتهم الحصر.

رشح المخزومي للبعثة العلمية العراقية الى مصر سنة ١٩٣٨ فقبل بعد اختبار اجتازه بتفوق في كلية الاداب- بجامعة فؤاد الاول ومن زملائه من الطلاب العراقيين في هذه الدورة المرحوم مشكور الاسدي والاستاذ محمد شيت صالح الحياوي صاحب المباحث اللغوية العديدة.

وقد انتفع المخزومي من دروس ومحاضرات خيرة الاساتذة وفي طليعتهم عميد الادب العربي الدكتور طه حسين وابراهيم مصطفى وقد حصل في دراسته على جوائز تشجيعية رمزية لنبوغه وتفوقه ومن هذه الجوائز ما كان هدية من الملك فاروق الاول ملك مصر الاسبق.

وبعد ان انهى دراسته وحصل على درجة البكلوريوس في الاداب عاد الى بغداد فنسب للتدريس في دار المعلمين الريفية في الرستمية وتنقل في عدة مدارس غيرها وكان طموحه في مواصلة دراسته العليا.

حالته الاجتماعية

تزوج مهدي المخزومي سنة ١٩٤٥ مقترنا بإبنة خاله الشيخ محمد حسين وانجبت له ولدين.

عودته الى البعثة

وبعد سنوات من مزاولة المخزومي التعليم عاد المخزومي الى البعثة العلمية العراقية الى مصر لمواصلة دراسته العليا والحصول على الماجستير وكان استاذيه في هذه المرحلة الشيخ امين الخولي وابراهيم مصطفى فانتفع من دروس الاخير وتوجيهاته واشرافه على رسالته عن الخليل بن احمد الفراهيدي: اعماله ومنهجه وقد طبعت الرسالة في بغداد سنة ١٩٦٠ ثم اعادت طبعها وزارة الثقافة والاعلام سنة ١٩٨٦ اعادت طبعها دار الرائد العربي مصورة عن الطبعة الاولى.

ثم واصل المخزومي دراسته العليا للحصول على درجة الدكتوراه عن رسالته "مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو" باشراف الاستاذ مصطفى السقا.. وقد طبعت هذه الرسالة ثلاث طبعات كانت الاولى في بغداد سنة ١٩٥٥ والثانية في القاهرة سنة ١٩٥٨ بمطبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بالقاهرة وقد صدرت هذه الطبعة مصدرة بكلمة الاستاذ المشرف مصطفى ابراهيم السقا الذي تولى تصحيح تجارب الكتاب نيابة عن مؤلفه وكان معجبا بطالبه المخزومي فقد قال في كلمته منوها ببحث تلميذه.

"واني اذ اقدم هذا البحث بهذا التصدير الموجز اشعر باني اقدم للعالم العربي اثرا نفيسا جدا من اثار استاذ عالم محقق شاب انجبته العراق وشاركت مصرنا العزيزة في تثقيفه وتخريجه على احدث المناهج العلمية وادقها وارجوا ان يكتب بذلك في الخالدين".

وفي سنة ١٩٨٦ قامت دار الرائد العربي في بيروت باعادة طبعه مصورا عن الطبعة الثانية.

هذا بخصوص رسالته الجامعية اما مؤلفاته الاخرى والتي تكشف عن وجوده وفقهه النحوي واللغوي فهي:

١- النحو العربي: قواعد وتطبيق عىل ضوء المنهج العلمي الحديث.

وقد صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٦٦ عن مطبعة مصطفى البابي الحلبي وقد قدم له الاستاذ مصطفى السقا الاستاذ بكلية الاداب جامعة القاهرة قائلا: "وتمتاز كتب الدكتور المخزومي عامة نظرية تطبيقية بعمق البحث ووضوح المنهج وسهولة الترتيب والاعتماد على اراء ائمة النحو واستخلاص اهم العناصر والاراء التي تصلح لاقامة صرح النحو الحديث عن اصول علمية خالية من التأثر بالفلسفة والمنطق".

وقد تأثر المخزومي بكتابة هذا النحو الكوفي ومصطلحاته من جهة وبكتاب "الرد على النحاة لابن مضاءة القرطبي" من جهة اخرى ولكنه لم يقف عند هذا التأثر فاستحدث امورا استفادها من تجاربه العلمية وقد عده الاستاذ السقا الخطوة الواسعة الاولى في تيسير النحو على طلاب المدارس والمعاهد.. وحسبه انه ابطل كثيرا من مشكلات التأويل والتقدير والاضمار والعلل الثواني والثوالث والاقييسة البعيدة هذا ما يراه الاستاذ السقا اما من الناحية العلمية فان وزارة المعارف قبل اكثر من ثلاثين سنة حاولت تطبيق نظرية الغاء العامل التي دعا اليها ابن مضاء القرطبي وتغيير المصطلح النحوي واحلال المسند اليه (المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل...) والمسند بدلا من الخبر فلم يكتب لهذه المحاولة النجاح ولم تجد الى المنهج القديم من قبل المدرسين ولا من الطلاب فاضطرت الى لاعدول عنها والعودة الى المنهج القديم من قبل المدرسين ولا من الطلاب فاضطرت الى العدول عنها والعودة الى المنهج القديم المبني على نظرية العامل.

٢- في النحو العربي: نقد وتوجيه- بيروت ١٩٦٤.

٣- الدرس النحوي في بغداد- دار الحريج- بغداد ١٩٧٥.

وهو يرى في كتابه هذا انه لم تظهر

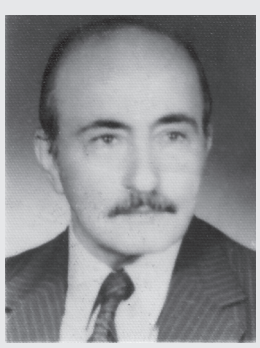

رشح المخزومي للبعثة العلمية العراقية الى مصر سنة 1938 فقبل بعد اختبار اجتازه بتفوق في كلية الاداب- بجامعة فؤاد الاول ومن زملائه من الطلاب العراقيين في هذه الدورة المرحوم مشكور الاسدي والاستاذ محمد شيت صالح الحياوي صاحب المباحث اللغوية العديدة.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2086)
السنة الثامنة
الخميس (31)
اذار 2011

الدرس اللغوي عند الخليل

أ.د. مهدي المخزومي

حققت البصرة أعمالاً لغوية مهمة، وكانت في هذا مدينة للمربد، فقد كان المربد مثابة للفصحاء من الأعراب، ومقصدا للدارسين البصريين، يسمعون من الأعراب اللغات والغريب والنادر، ويدونون ذلك في ألواح يحلونها معهم، ويعودون وفي عبابهم مادة ضخمة للدارسين وطلاب العلم.

وتنّبه الدارسون،باختلافهم إلى المربد ومشافهة الأعراب الوافدين للمنبع الثر الذي يمكن أن يسترفده ،فيرفدهم بإضعاف ما يرفدهم به المربد، وهو البوادي النائية، ولاسيما بوادي نجد والحجاز وتهامة، فكانوا يشدون الرحال إليها، ويقضون فيها أعواماً ،يسمعون ويشافهون ويدونون.

وكان الخليل بن احمد كثير الاختلاف إلى تلك البوادي، فقد كان قد أفاد من سنوات الحج كثيرا ،ووقف بقوة ملاحظته ونفاذ ذهنه، على ما لم يتيسر لغيره.

وظهر في بيئة البصرة لغويون،كانوا أعلام الدرس اللغوي، ومرجع الدارسين ،وفي مقدمة هؤلاء:أبو عمرو بن العلاء ،والأصمعي،وأبو عبيدة،وأبو زيد الأنصاري، والنضر بن شميل، وقد صنف هؤلاء رسائل ،وكتبا صنفوا فيها ما تجمع لديهم من مفردات، وما جمعوه من لغات، ودونوها، ولم يتجاوز عملهم اللغوي حدود التدوين،وضبط المفردات، كما جاءت على السنة الأعراب ثم تصنيفها بحسب الموضوعات ككتاب النخل، وكتاب النبات، وكتاب المطر، وغيرها،او بحسب الحروف، كأن يتخذ احد الحروف ساس للتصنيف ،فينتظم الكتاب المفردات التي تشترك في هذا الحرف، ككتاب الجيم، وكتاب الهمز وغيرهما، أو بحسب المعاني ،أو غير ذلك، وكان الهدف من تدوينها هو حفظ اللغة من الضياع، وصيانتها من التصحيف والتحريف والخطأ.

أما الخليل فكان ينظر إلى هذه المفردات على أنها تمثل مرحلة متأخرة من مراحل البناء اللغوي، فإذا لم يبدأ بالدرس اللغوي من الأساس فلا جدوى منه، لأن الدرس يظل عاجزا عن الخطوات التي سبقت هذه المرحلة، والعوامل اللغوية التي شاركت في إتمام عملية البناء، وإذا كانت اللغة تتألف من مجموع هذه المفردات فأن المفردات كلها إنما تتألف من حروف، وهذه الحروف هي حروف الهجاء المعروفة.

يدل على مثول هذه الفكرة في ذهن الخليل ما حكاه الليث بن المظفر عنه، قال الليث: (كنت أسير إلى الخليل، فقال لي يوما لو أن إنساناً قصد وألف حروف ألف وباء وتاء وثاء على ما أمثله لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب ،فتهيأ له أصل لا يخرج عنه شيء منه البتى، قال: فقلت له: وكيف يكون ذلك؟ قال: يؤلفه على الثلاثي والرباعي والخماسي الخ..)([١]).

فقوله: (لو أن إنسانا قصد وألف حروف ألف أو باء أو تاء أو ثاء الخ..) يدل دلالة واضحة على تمثل الخليل تأليف الأبنية، اعني أبنية الكلمات،فهي إذن تتألف من الحروف والحروف هي مادة اللغة، والحروف في العربية تسعة وعشرون حرفا، فلابد للدارس إذن أن يعرف طبيعة هذه الحروف، وخصائصها ، وما يقوم عليه بناء الكلمة، وما لا دخل له في البناء، ولابد ان يكون الخليل قد أطال النظر في ذلك، وتدبر أمر هذه الحروف، فلم يمكنه ترتيب الحروف من ذلك، لذلك (قلب الخليل (أ ب ت ث) فوضعها على قدر مخرجها من الحلق).

والسبب الذي حمله على تغيير ترتيبها،وعلى وضعها قدر مخرجها من الحلق هو ان الترتيب الموروث لم ينبن على أساس علمي، فهو حين أراد أن يضعها على قدر مخرجها إنما كان يرمي إلى إعادة تنظيمها ولكن على أساس علمي واضح.

وهكذا كان قد تأتى للخليل،بما أتيح لعقله من أسباب التنظيم، أفكار عن طبيعة اللغة، ونشوئها، وعن طبيعة الأصوات، (الحروف) التي تتألف مفرداتها منها، وقد استخدم كل ما كان لعقله المنظم من إمكانات لدراسة اللغة وفهم طبيعتها.

فالخليل إذن لم يتناول اللغة بالدرس من قمة الهرم، كما فعل من يبقه، وكما فعل من عاصره، ولكنه تناولها من القاعدة، فبدأ الدرس اللغوي بما يجب أن يبدأ به، بدأه بدراسة الأصوات (الحروف) التي تتألف منها مفردات اللغة، ليعرف مواقع تلك الأصوات من جهاز النطق، ويقف على خصائصها ، وما يترتب على تآلفها وتجاورها، واستطاع بذلك أن يفسر ظواهر لغوية لم تكن لتفهم بدون فهم سابق لطبيعة الحروف وتفاعلها بتجاورها وتمازجها.

هذه اخر مقالة كتبها الناقد ونشرت في صحيفة الجمهورية 1993

مدرسة بغدادية لها ما يميزها عن سواها من المدارس النحوية الاخرى وانما هي في الحقيقة امتداد للمذهب الكوفي لان اكثر رجالها كوفيون قنطوا بغداد.

٤- اعلام في النحو العربي- الموسوعة الصغيرة (رقم ٦٠) بغداد ١٩٨٠.

٥- ديوان الجواهري في سبعة اجزاء جمع وتحقيق واشراف، بالمشاركة مع الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور على جواد الطاهر ورشيد بكتاش وزارة الاعلام (١٩٧٣-١٩٨٠).

٦- كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي بثمانية اجزاء حققه بالمشاركة مع الدكتور ابراهيم السامرائي. وزارة الثقافة والاعلام (١٩٨٠-١٩٨٥) طبع في دار الحرية ببغداد عدا الاول فقد طبع في الكويت.

لقد تولى المرحوم الدكتور مهدي المخزومي التدريس في كلية الاداب والعلوم ببغداد ثم اسند تاليه عمادتها وبعد احالته الى التقاعد سنة ١٩٦٣ انتدب للتدريس في المملكة العربية السعودية فعين رئيسا لقسم اللغة العربية بجامعة الرياض.

وبعد انتهاء عقده عاد الى بغداد وعين ثانية- استاذا في كلية الاداب وقد تولى الاشراف على عشرات الرسائل الجامعية وابداء المشورة والرأي وقد كانت داره مثابة لطلبة الدراسات العليا يلمون به للافادة من علمه الغزير وتوجيهاته السديدة الرشيدة وكان يستقبلهم في داره مرحبا متهلل الاسارير ليزيل وحشتهم ثم ينبسط معهم في الحديث مؤانسا لقد كان المخزومي رحمه الله على جانب كبير من دماثة الخلق وطيبة القلب وكرم النفس وقد بوأته هذه الخصال مكانا مرموقا بين طلابه ومريديه ومعارفه وزملائه فكان لنعيه رنة اسى واسف في قلب كل من قد له الاتصال به ومعرفته من قريب او بعيد وقد صدق شاعر العرب محمد مهدي الجواهري حين قال فيه:

ابا مهند لا انتك نازلة
ولاتخطت الى عليك العلل
ولا خلت سوح العلم عامرة
بها اذا غبت عنها ساعة خلل
وظلت كالفجر ضوء منك منطلق
يهدي العصفور وهدي منك مستقبل
يا كاي الجيل من افضاله مننا
منها تتيه على اكتافه حلل
وحاضن "اللغة الفصحى" وقد عبثت
بها الجهالة والاخطاء والزلل
ومطلع الفكر في ظلمائها قبسا
كما يحول روضا يانعا طلل
يهينك ان ربوع العلم نحتفل
بان سلمت وسوح المجد تبتهل

رحم الله الدكتور مهدي المخزومي وجعل في طلبه النجباء من يسد هذه الثغرة التي اصابت الدراسات النحوية واللغوية فقد عاش في حدمة اللغة العربية ونصرتها ومات تلك الميتة الشاعرية وهو يشرح مسألة سأله عنها تلميذه الدتور زهير غازي زاهد فكان اخر كلامه فيها ارأيت شهادة في سبيل العربية اروع وانصح من هذه الشهادة ورحم الله الرصافي

ان الدفين مضمخا بحنوطه
دون الدفين مضمخا بشعوره
مامات.. من تركت لنا اقلامه
صورا خوالد من بنات ضميره

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2086)
السنة الثامنة
الخميس (31)
اذار 2011

أيها النفس أجملي جزعاً
إن الذي تحذرين قد وقعا

المخزومي في خطوط صداقة من التاريخ

الدكتور علي جواد الطاهر

قد وقعا فاذا الصحب في حيرة من الامر، وفي حزن للامر، في حيرة وحزن ودموع وضياع لا يدرون ماذا يقولون، وماذا يفعلون. وكلما انتشر الخبر انتشر معه الحزن والاسى والاسف. فاذا كان فقد الانسان مجلبة للحزن، فكيف بفقد انسان عالم ادى للامة في خدمة لغتها الكثير الكثير، وله مع خدمة اللغة، خدمات اعم واخلاق ادل! وكيف بانسان عالم عامل عزيز، وصديق صدوق؟ كيف؟ وكيف؟!!

كان ذلك بعيد ظهر الجمعة في الثاني عشر من رمضان لعام اربعة عشر واربع مئة والف الموافق للخامس من اذار لعام ثلاثة وتسعين وتسع مئة والف وينتشر الخبر.

وتمر خلال ذلك بالصديق فهم طيوف، متباعدة حينا، ومتقاربة حينا، ولكنها في جوهرها ثمرة طيبة لعمر من الصداقة زاد على خمسة وثلاثين عاما من الوئام النادر في زمن حلا فيه الخصام، وغلبت المطامع، ووجد الشر سبيله لا حبا..

يرجع تاريخ هذا الوئام الى اوائل عام ١٩٥٤ وقد عاد من القاهرة ومعه الدكتوراه برسالته "مدرسة الكوفة" والماجستير برسالته الخليل بن احمد الفراهيدي وبليس سهلا ان يجرؤ طالب على هذين الموضوعين، وهما ما هما من قوام اللغة العربية في نحوها وصرفها وفقهها وحجمها ولمنه كان المؤهل، وكان المتوج والرسالتان رمز لسعة العقل، وسمر عن ان يجد المرء نفسه بكوفة او بصرة، ومنهج في الرجوع بالدرس الى منابعه الاصلية.. وكان يجب ان يكون قدوة لمن يقتدي.

كان اللقاء يعقد يوميا، ومرارا في اليوم الواحد، ومتصلا في غرفة كبيرة من غرف كلية الاداب (والعلوم) تسمى غرفة الاساتذة. والاساتذة في عرفهم هذه يتناقشون ويصبخون، ولكن استاذا واحدا بينهم يلازم الهدوء او الصمت، فلا يتكلم الا حين يصل الكلام اليه، واذا تكلم تكلم بقدر وميزان وبصرامة العالم المطمئن الذي اصغى طويلا، وصمت طويلا، وكان اصغاؤه مناظرة، وصمته مناقشة... وكلامه جوابا عن سؤال وحلا لمشكلة وهو بين صمته وكلامه وجود راسخ، وكيان يحسب حسابه. ولا ينفك الطلبة والمدرسون يتوجهون اليه بهذا السؤال من مسائل النحو، وبهذه المشكلة من مشكلات اللغة، ثقة به، واعتمادا عليه وهو المؤهل الذي امتلك ذخيرة من المادة التي حصلها باجتهاد وسهر بين النجف والقاهرة، وجمعت الى اراء الاقدمين وفيهم الخليل والكسائي اراء المحدثين وعلى رأسهم استاذه ابراهيم مصطفى حامل لواء احياء النحو واستاذه مصطفى السقا الذي استوعب القديم ولم ينغلق عليه.

وقديم المخزومي قديم الرواد، قديم الاوائل المبدعين في الجمع والرأي والاخلاص والحرص على الحقيقة... فيما كان في البصرة والكوفة وفي الاشعة التي امتدت الى بغداد.

وما كان قديمه قديم المتأخرين الذين كانوا سببا في ضيق في ضيق النحو وجفافه، وموته احيانا، ومن الفوا ما الفوا في عصر الجمود تحت سلطان الجمود بعيدا عن الحياة، بعيدا عن الشخصية واين الشخصية منهم وقد شغلوا بالتعقيد والتكرار والنقل وتكديس القواعد وفروع القواعد، وشواذ القواعد.

اذا اراد الطالب الحديث ان يأخذ النحو من مظانه فما عليه الا ان يرجع الى الاصل، الى الرواد والمؤسسين، وهذا ما فعله المخزومي، ودعا اليه مترفعا عن الاجترار داعيا قومه الى الترفع معه.

وحين تكون اللغة وجودا، فانها لا تقتصر على التقديم الذي فرغ منه، وانما هي في المعاصر، وليس استاذا للغة من لم يعاصر امته، ويعاصر ما تقوله وما تكتبه، وما تبدعه في رأي وذوق وليس استاذا للغة من وقف عند الدرس اللغوي لا يمتد الى الابداع قديما وحديثا، ابداع الشعراء والكتاب على مدى التاريخ وابداع المقالة في مجلتي "الرسالة والثقافة".

اجل والمخزومي في هذا كما يجب ان يكون العاملون في الحقل اللغوي، فلا يغرقون في القديم وحده، ويشغلهم القديم وحده عما لغة من جديد ومعاصره. واحسب ان هذا الذي تهيأ للمخزومي، لو تهيأ للآخرين، وعملوا به، وساروا عليه لا تسع الافق وحلت المشكلات، وطاب الدرس، وصحت القدوة الحسنة لمن يقتدي.

وليست اللغة علما فقط، وحياة فقط، وانما هي علم وعمل وحياة تنساب من قلم سمح، وعلى الانسياب مسحة لابد منها حتى في البحث العلمي- من جمال تغري بالمتابعة وتؤنس لدى القراءة، وتدل على ان اللغوي يمتلك اللغة ويحسن التصرف بها، ويتحسس جمالها مفردة ومركبة هي على قلمه كما هي على اقلام المبدعين، فاذا هو اديب متمكن، واذا الذي تقرؤه له ادب رائق.

والمهمة ليست ميسرة لاي رامها، لانها تشترط ما توفر للمخزومي من ذوق وشاعرية ونقد. ولو لم يكن المخزومي نحويا لكان شاعرا، ولو لم يكن شاعرا لكان مقاليا ولو لم يكن مقاليا لكان ناقدا.

وها هي ذي كتبه بإزائنا تتوالى، قد تكون قليلة العدد، فما كان الرجل ليعنى بالكم، وما كان يكتب ليقال انه كتب، فصلا عن ترفعه عن الارتزاق بالتأليف وهو المتريث المتأني المتأنق الزاهد بما يقع فيه غيره من اهل الكم ولطلبة "المادة" واذا لم نقرأ له "الدرس النحو" و"عبقري من البصرة" فاقراء له كتابا صغيرا في سلسلة "الموسوعة الصغيرة" بعنوان "اعلام في النحو" اقرا، لترى كيف يتحدث نحوي مقالي شاعر عن نحاة نحاة، وكيف يستل مواطن نبوغهم ليضوع عبقه خلال كلماته وهكذا يحسن او يجب ان يكون اللغوي ليكون قدوة لمن يقتدي.

المزيد المزيد يا ابا مهند.. القارئ يطلب المزيد ولكن ابا مهند لا يريد ان يخرج عن سمته، ويكفيه ما اتانا به من قديم وجديد، فكان مما كان رجوعه الى الخليل والكوفة، وكان اول من سمعنا منه مبحث "الاصوات" في العربية، ومن جديد جديد يسعى الى التيسير، وبين هذا وهذا ذوق ونظر وافق وقلم في ميدان التخصص العلمي، واجتماعية طبيعية في الصداقة والصديق.

وينسجم الاتزان منذ تعارفهما في اوائل عام ١٩٥٤، وكأنهما خلفا صديقين، وان تعارفهما يعود الى ما قبل ذلك كثيرا كثيرا.

يلتقيان في كلية الاداب، وخارج كلية الاداب، وحين كان من رأي المخزومي اعادة "علم المعاني" الى النحو، كانت فرصة لان يحاضر طلبة دار المعلمين العالية الى جوار صديقه الذين يدرس "البيان" و"البديع" في هذه المادة من درس البلاغة وكانت فرصة للصديقين في ان يلتقيا عصرا في "دار المعلمين العالية".

وتمتد الفرصة لتسهم فيما عرفته الدار في موسمها الابداعي باسم "جماعة الانشاء الادبي" وتذكر الجماعة ذوقه النقدي السليم.

ثم كانت فرصة "المعلم الجديد" ومولد سلسلة "اعلام في النحو"، ومحامد المخزومي الانسان، كثيرة فهو صديق اصيل يحرص طواعية على اصول الصداقة كاملة بما يستدعي "عقدها الاجتماعي" من تضحيات، وما يستلزم دوامها من "روحانيات" ليكون فيها قدوة لمن

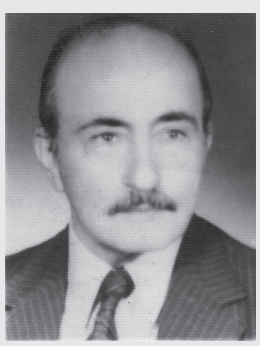

ليست اللغة علما فقط، وحياة فقط، وانما هي علم وعمل وحياة تنساب من قلم سمح، وعلى الانسياب مسحة لابد منها حتى في البحث العلمي- من جمال تغري بالمتابعة وتؤنس لدى القراءة، وتدل على ان اللغوي يمتلك اللغة ويحسن التصرف بها، ويتحسس جمالها مفردة ومركبة هي على قلمه كما هي على اقلام المبدعين، فاذا هو اديب متمكن، واذا الذي تقرؤه له ادب رائق.

يقتدي.
واحسبت ان محك الصداقة، السفر، ولقد جربت المخزومي في اسفار بعيدة، متكررة، ربما عاد منها غيرنا متباعدين، متفارقين، ولكننا كنا نحيا السفر في وئام، ونعود منه ونحن امتن صلة واشد عودا واسد رأيا، وينطلق المخزومي في ذلك من مفهومه العالي للصداقة فطرة واكتسابا، ومن خلقه العالي في المواءمة والموافقة والمسابقة في الفضل.

واذا استدعت الصداقة صبرا فان صبر المخزومي خارجها اعجب واغرب، ومن هذا الخصوص الذي يكتسب صفة العموم ان يشغل المخزومي عمادة كلية الاداب ويمضي عمرا من عمره في خدمتها.

واشهد انه لن يفد من العبادة اي جدوى شخصية من ابهة، وما كان طالب ابهة، ومن مجد فما كانت العمادة لتفوق مجده النحوي، وما كان مجده النحوي ليقوم شامخا لو ام يقترن بالعمل والحياة، وما العمادة الا مظهر للعمل والحياة، ولو لم يقترن بالاديب لما جاءته نيابة الرئاسة في اتحاد الادباء العراقيين، ورئاسة تحرير "الاديب العراقي".

اريد ان اقو لان مجده النحوي لم يقم عزلة او على اجترار لمادة مستهلكة وانما يقوم على العمل والحياة، واري دان اكرر ان المجد لا يأتي النحوي اذا لم يماري النص الادبي رأيا وتا وقا وقلما مدركا سحر الكلمة منفذا سحر الكلام.

ثم انه لم يكن طالب مال، ولا ساعيا في تمرير باطل، وما جاء العمادة الا من اجل الحق، اما ما لقيه من اولئك الذين حسبوا العمادة ارثا مسجلا لهم فلا يعدله الا صبره، وسموه وعلو جنابه

ن ومروره بالعفو كريما ونظره التوافه من عل...

ويبلغ مجده في زهده بالمال مجده في عمادة كلية الاداب، وقد تهيأت له فرصة سانحة لأن يكسب منه قدرا لا بأس به في زمانه، ولكنه لم يكسب ولم يفكر في ان يكسب ولم يكن من طبعه ان يكسب جائرا.

تقول: كيف؟

واقول، وانا اشاهد القريب من الحال، تألفت لجان لتأليف الكتب المدرسية في مراحلها الثلاث، وكان الدكتور المخزومي رئيسا طبيعيا للجنة اللغة العربية، وكان يكفي لرئيس اللجنة ان يشارك اللجان الفرعية احدى جلساتها ليكون فيها، وان يلقي نظرة على مخطوطة الكتاب المؤلف ليكون مؤلفا من مؤلفيه، ولكنه لم يفعل هذا، ولم يشترك في تأليف كتاب واحد، ولم يضع اسمه على كتاب واحد، وترك اللجان الفرعية وشأنها، تضع اسمها على الكتب وتنال من المكافأة المالية.

ولا شك في انه لم يكن في غنى عن دنانير تأتيه حقا مشروعا، ولكني لا اشك كذلك في انه لم يفكر لن يستغل رئاسة اللجنة ليحصل على مال لم يبذل الجهد الذي يراه لازما ليستحقه.

وانتهى امر العمادة الى ما كان يجب ان ينتهي اليه.

وكنا من حصة جامعة الرياض، والتقى المخزومي الاستاذ في هذه الجامعة بمصطفى السقا العميد فيها حتى اذا انتهى التلميذ السابق من تأليف كتابه "في النحو العربي" قرأه الاستاذ السابق فأعجب به وبالجهد والفكر وصفاء الذهن وكتب مقدمة مسهبة للجزء الاول (نقد وتطبيق)، مما جاء فيها:

"ولا يلتزم الاستاذ مهدي في حل مشكل النحو مذهبا معيا من مذاهب النحويين، وانما يضع المذاهب كلها امام نظره، ويتخير منها ما كان اقرب الى طبيعة اللغة سواء كان القائل به بصريا او كوفيا او بغداديا او اندلسيا وسواء كان صاحب الرأي المختار متقدما او متأخرا".

وخرج بهذا المسلك وبالمناقشة والنقد الى اراء قيمة حتى قال الاستاذ السقا: "ومباحث الدكتور مهدي المخزومي (....) تعد من امتع الدراسات العلمية، فانها قائمة على اساس علمي متين.

وكتب الاستاذ السقا مقدمة الجزء الثاني (قواعد وتطبيق) اثنى فيها على كتب المخزومي "وكل من استمتع بقراءة تلك الكتب رأى صورة واضحة هادئة من تفكير هذا الباحث المجدد، وقوة ملاحظته واحاطته بمادة النحو احاطة حسنة".

وغادر السقا الجامعة فاسندت رئاسة قسم اللغة العربية فيها الى الدكتور المخزومي ومضينا في خدمة العلم والاخلاق بما قال عنا مسؤول كبير جعلوا العرب اساتذة.

اساتذة.

قال ذلك ونحن نتأهب للعودة الى الوطن وفي الوطن استأنفنا التدريس والتأليف، واسندت –لحين– رئاسة قسم اللغة العربية الى الدكتور المخزومي، ثم كانت له مشاركة فاعلة في اخراج الاجزاء السبعة لديوان الجواهري، وكان جهده المضاعف في تحقيق كتاب "العين" للخليل. وكان ذلك خلال مرضه الذي كان له وقع الصاعقة على عارفي فضله ومحبيه.

وما كانت المياه تجري من دون تعكير، والرجل يتحمل صابرا مترفعا عن الشكوى... مقتنعا بزاوية من بيته لم تلبث ان استحالت ندوة مصغرة يلتقي فيها الاحباب من المثقفين والمفكرين، وللغة حظ واف من حظوظها.

وذات جمعة. والندوة عامرة يتصدرها اب، المهند واذا بالقدر المحتوم يسدل استاره على القلب الكبير الذي طالت معاناته فكان الحادث الجلل، والفقد الفاجع فاذا القوم في حيرة من الامر، وفي حزن للامر، في حيرة وحزن ودموع وضياع وكلما انتشر معه الحزن والاسى... والاسف حتى اذا عاد الزمن الانسان بالصبر، والاذه بالفكر، وجد ان الموت حق، ويكفي الفقيد فضلا ان يمضي مرضيا نقيا، ماجدا، على ما يسر الصديق ذكره، من فضائل.

هكذا فارق المخزومي هذه الدنيا، فارقها وهو على زهده وعفته وسموه وصبره، ومن كان همه في اللغ كان اكبر من الدنيا، فكيف وقد اتسع الهم اللغوي لهم الامة، واتسع هم الامة لهم الانسان؟

اجل، هكذا مضى المخزومي ماجدا نقيا... مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة غداة ثوى الا اشتهت انها قبر... مضى طاهر الاثواب.

عن كتاب اساتذتي.. دار الشؤون الثقافية 1981

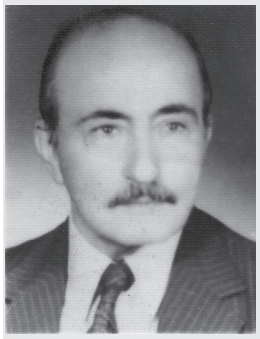

كتب الاستاذ السقا مقدمة الجزء الثاني (قواعد وتطبيق) اثنى فيها على كتب المخزومي "وكل من استمتع بقراءة تلك الكتب رأى صورة واضحة هادئة من تفكير هذا الباحث المجدد، وقوة ملاحظته واحاطته بمادة النحو احاطة حسنة".

مع الدكتور شاكر خصباك

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2086)
السنة الثامنة
الخميس (31)
اذار 2011

المخزومي المعلم والباني

صفاء صنكور

اختار المسلك الصعب، ورفض علماء الاتباع، وسكونية التقليد السائد في مجاله.. فخرج منه المخزومي المجدد، والمعلم، والباني لقواعد الدرس النحوي الجديد في العراق وترك اثاره الواضحة في عقول زملائه ومجابليه وتلامذته عبر عن الثر، في نفوسهم عبر خلقه الجليل العالي وسلوكه الراقي.

لقد بث المخزومي الحياة في الدرس النحوي، بعد ان اثقلته عصور الجمود والتخلف، بعناصر الجفاف والموات والتكرار والتعقيد، وتكديس القواعد المجردة..

وقرب هذا الدرس وحببه الى تلامذته، وارتقى به الى اصوله الاولى مرتفعا عن تعصبات مذهبه، رافعا سراج المنهج العلمي، والاستقراء الموضعي، في تمحيص مشكلات النحو، ومعضلاته، مدققا في حلولها بصرية كانت او كوفية او بغدادية او اندلسية، مختارا ما يناسب طبيعة اللغة المعرفية الخاصة، وعلى تشذيبها من تداخلات الفلسفة والمنطق.

لقد ثبت المخزومي عبر ذلك اركان درس نحوي اكثر صلة بالعصر، واقرب في الوقت نفسه الى الاصول.. مرسخا في حقله ملامح منهج موضوعي، واخلاص معرفي في البحث والاستقراء، والانجاز العلمي، تبدو بامس الحاجة الى ترسم خطاه، وتعميمه انموذجا في كصير من حقولنا المعرفية، يقتدى بمساره في النظرة العلمية المتوازنة، بدلا مما هو سائد لدى الكثيرين من اغراق واسراف في الاتباع والتقليد بمظهرية، تعني الاتباع السلفي الاعمى، والتقليد الحداثوي المتطرف.

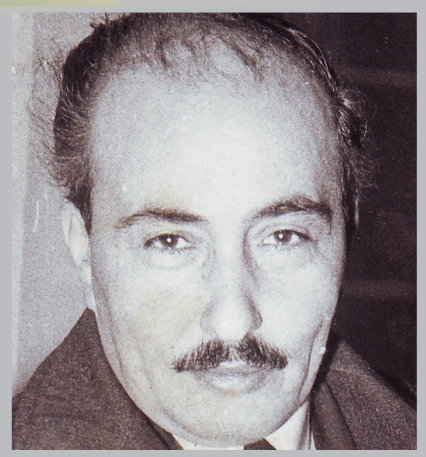

بسم الله الرحمن الرحيم

ارخت عام رحيل العالم اللغوي الجليل والباحث العربي الاصيل الاستاذ الدكتور مهدي المخزومي صاحب المصنفات النافعة في مجال علم اللغة العربية بضروب بلاغتها في البديع والمعاني والبيان فضلا عن مساهماته الفاعلة في علم الكلام ومنطقه، وكان (رحمه الله) علما فوق قمة (نحو العراق) في مدرتيه –الكوفة والبصرة– والذي كان وسيبقى –ما دام الضاد– الهدف المنشود لكل ادباء الامة/ شعراء وناثرين وقاصين بل وفي كل رياضة محمودة يخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل.

فعلى المهدي السلام وانا لله وانا اليه راجعون

التاريخ الميلادي

في غاب من العين النظر
وتلك (الفية ابن مالك)
وذي (حزون) حزنت لما انثنى
اما (عكاظ) اقفلت اسواقه
ساءلت هل شعاع افاق العلى
بكى على المهدي كل عارف
و(الاجرمية) استشاطت و(القطر)
اذهلها فقد الحصيف بالفكر
بـ(يذبل) تصدع ثم انطمر
و(مربد البصرة) بالشجو اندثر
قد ماس مراه المنون فانكسر
والمهدي تبكيه رعابيب الغير

المخزومي المعلم والباني

الشيخ جلال الحنفي

حين ظهر ابن هشام اشار ابن خلدون الى انه ظهر في المشرق نحوي هو انحى من سيبويه ولو ادرك ابن خلدون ايمنا لعاد فقال انه ظهر في المشرق نحوي هو انحى من الرجلين انه مهدي المخزومي الذي توفاه ملك الموت صباح الجمعة الخامس من شهر رمضان سنة ١٤١٣هـ رحمه الله

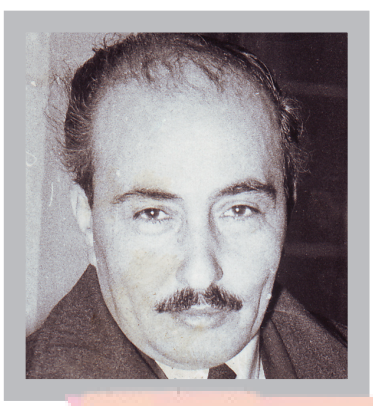

العلامة المخزومي في ذاكرتنا

طراد الكبيسي

لم يكن الدكتور مهدي المخزومي مدرسا للنحو، بل مفكرا نحويا له طريقه الخاص في اطار المذهب الكوفي... ولم يكن الدكتور المخزومي استاذا لتلاميذ، بل كان مربيا... ومربيا على خلق عال قل نظيره في الاوساط الجامعية العربية قديما وحديثا.

لقد كان المخزومي من طراز اولئك العلماء الافذاذ في اللغة والنحو، امثال الخليل بن احمد الفراهيدي، والفراء والانباري... وسواهم.

كان محبا لدرسه وفيا له، حرا في تفكيره وتعليله وتفسيره... ولم اره يضيق يوما بخلافاتنا معه نحن التلاميذ المشاكسين والذين كنا نجادل غالبا بالباطل او بـ(المذهب البصري) الذي، حشت به كتب النحو المدرسية اذهاننا.

كان المخزومي يدفع بنا لان نفكر– اجل نفكر حتى في النحو الذي تظنه الغالبية، قواعد جامدة تلقن تلقائيا وتطبق حرفيا... مؤكدا مثلا، ان حروف المعاني، معانٍ... وبالتالي فان اي تغيير فيها يحدث تغييرا في المعنى... واي تغيير في المعنى، يعني تغييرا في الفكرة التي يراد ايصالها.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2086)
السنة الثامنة
الخميس (31)
اذار 2011

نظرة في منهج الدكتور المخزومي

عبد المطلب صالح

اول من ساهم من المحدثين في محاولة تجديد النحو العربي وتيسيره هو الاستاذ (ابراهيم مصطفى) في كتابه "احياء النحو" الذي سن الطريقة المنهجية في دراسة النحو لمن جاؤوا بعده، اذكر في مقدمتهم استاذنا المرحوم الدكتور احمد عبد الستار الجواري ثم الباحث العلامة المرحوم المخزومي الذي اختص في كل ما كتب بالمباحث النحوية، فكان العلم الفرد بين علماء قلائل، احتذى مثال سابقيه في هذا الموضوع، ولاسيما العلامة اللغوي، النحوي، والمؤرخ ايضا استاذنا المرحوم الدكتور مصطفى جواد ونستطيع ان نميز في جهود المرحوم المخزومي منهج التيسير النحوي في ما ألف من كتب عنيت على وجه الخصوص بهذا الموضوع.

المجمع العلمي) ذي اركانه
اد اهل العلم يسمو رفعة
دينا ان غاب يبقى شامخا
+٣١٣+١٦٢١=١٩٩٣م

ريخ الهجري
تاريخ الحياة البائدة
اعماله شبه (مصرف)
عة تذوب لكن نورها
ذا (المخزومي) كان رافدا
تأليفه صارت مرجعا
ف الاعلى بكل زوراعنا
ها المهدي في احساسنا
ب المخزومي مهدي العلى
+٥٩+٧٠(٦٤٠) ١٤١٣هـ

ارتجت لذا مبكية حتى الحجر
دم الشهيد ان هوى او انتصر
ارخت (مهيد العرب المنتظر)

منهاجها منذ العصور البائدة
(يقرض٩ من يحتاج دون (فائدة)
يبقى واجيال الحياة صاعدة
لكل ايات البليغ الرافدة
للضاد في شتى العلوم الرائدة
والقوم في هاتين حزنا واجده
اججت نيران العذاب الهامدة
ارخ (حجا اثار المهدي خالدة)

محمد الشيخ علي البازي

الى المخزومي

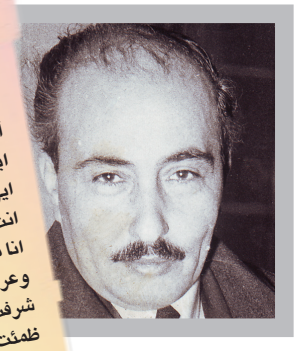

محمد حسين آل ياسين

أمل في عيوننا ليس يخبو
ايها الزارع الضمير منارا
ايها المستحيل عينا تروي
انت في حالك الجهالة فكر
انا من صوتك الصدى ومن الزيـ
ـف وعروقي التي تعهدت فيها
شرفت انها ربيبة نبع
ظمئت دهرها اليه فمنه
رفعت كف حيدر ذا فقار
وتمشي الحسين يثأر صبحا
الف جيل مضى يذب عن النو
ذان دربان لن يؤوا لا للقيا
واذا لم يكن خيار سوى السيـ
ـف فتئ الصعب يستحث خطانا
واذا انت من علي فتاه
ساهرا ترهق العيون اكتشافا
تاركا في النجوم اثار مجد

ايها الملتظي ليسعد شعب
ليجلى ليل ويكشف درب
ظمأ الروح اذ تنمر جدب
المعي وفي دنا الهم قلب
ت ذبال ومن يراعك ذوب
كل نبض قمار فيهن حب
فاض منه على الجداول سكب
فمنه تستقي اكؤس السنى وتعب
فعلا في يدي امينة عضب
فتمشت اليه كالليل حرب
ر والف عن الظلام يذب
فيهما كالوجود شرق وغرب
ر فدرب سهل وآخر صعب
وفتنا الى مغانيه نصبو
ويكفيك ذو الفقار يشب
مشفقا ان يضل في التيه ركب
نحن في هدي ما تنور نحبو

المخزومي الذي فقدناه

شاكر العادلي

في مدينة النجف الاشرف التي بقيت اشارة مضيئة في وسط موج من ظلمات العصور المتاخرة، كما بقيت للعربي لسانا نقيا وقلبا خافقا احتفظ بصفائه في زمن كادت العربية ان تضيع بين لب الجهل المطبق وسيف السلطان العثماني، في هذه المدينة العريقة التي جمعت العلوم الموروثة وحافظت عليها نبت وترعرع الدكتور مهدي المخزومي من اسرة عربية صميمية لها شرف المحتد وطيب المولد... ومن مدرسة هذه المدينة مدرسة الفقه الكبرى ومركز العقل وموضع القلم والكتاب ارتشف الدكتور المخزومي من ينابيعها الثرة. فقد تتلمذ على صناديد وفحول اساتذتها واعيان مدرسيها، ودرس مقدمات علوم العرب قبل ان يتجه الى الدراسة الجديدة التي نال فيها درجتي الماجستير والدكتوراه في النحو العربي.

ويقودنا الكلام الى ما ترك المخزومي من اثار قيمة في النحو والصرف التي تجلت فيها روعة الاسلوب وبراعة العرض وعقلية المسيطر، وحسبه كتبه الثلاثة وهي: (الخليل بن احمد الفراهيدي- اعماله ومنهجه) و(النحو العربي- نقد وتوجيه) و(مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو) فقد امتازت بيسر وسهولة المنهج والاعتماد على اراء ائمة العصر واستخلاص اهم العناصر والاراء التي تصلح لاقامة صرح النحو الحديث اصول علمية واضحة تعينه في ما ذهب اليه قيمة الرأي في ذاته تحيز لبصري او كوفي او اندلسي بغدادي.

ومن نافلة القول ان اقرر –تناولت هذا الجانب العلمي من سلوك المعرفية- بعيدا عن اي جانب اخر. يتماشى مع ما قاله استاذاه المصريان: ابراهيم مصطفى السقا، وقد اعترفا بتقدم علم النحو، وانه واحد ممن جددوه وعملوا على تيسيره، فأبطل كثير من مشكلات التأويل والتقدير والعلل الثواني والثوالث البعيدة.

ومما قاله استاذه الدكتور مصطفى السقا، وهو بدد تقديم كتابه (في النحو العربي- نقد وتوجيه) من اجل هذا كله وضع الدكتور مهدي المخزومي كتابه في النحو العربي وهو حلقة اولى تتبعها حلقات.

الدرس النحوي في بغداد

تردد اسم البغداديين كثيرا في اثناء القرن الرابع ازاء الكوفيين والبصريين... حتى يخيل للدارس ان البغداديين كانوا يمثلون جماعة ثالثة لهم طريقتهم الخاصة، ومذهبهم المتميز..

وجاء المتأخرون من النحاة فرأوا اسم "البغداديين" يذكر الى جانب الكوفيين والبصريين، فذهب بهم الوهم بعيدا وراحوا يركبون الصعب في تصوير مذهب ثالث يقف ازاء مذهب اهل البصرة ومذهب اهل الكوفة، وهو مذهب البغداديين.

ووقع المحدثون والمعاصرون فيما وقع عليه المتاخرون من وهم وراحوا يبالغون في تصنيف النجاة حتى تجاوزوا ثلاثة المذاهب الى اكثر من ذلك وزعموا ان هناك مذهبا اندلسيا واخر مصريا.

اكبر الظن ان الذاهبين الى وجود مذهب نحوي ثالث يستندون الى ما ذكره ابن النديم وغيره فقد صنف ابن النديم النحاة الى ثلاثة جماعات...

الاولى: جماعة البصريين.

والثانية: جماعة الكوفيين.

والثالثة: الجماعة التي خلطت المذهبين، ويعني بها جماعة النحويين الذين اخذوا عن الكوفيين والبصريين.

ومما يدل على ان البغدادية والكوفية جماعة واحدة ان الدارس لا يكاد يقف على خلاف مذهبي بين البغداديين والكوفيين، وان خلاف انما يمثل بين الكوفيين والبغداديين وبين البغداديين والبصريين، وان الدرسين المتأخرين الذين عنوا بأمر الخلاف كانوا يعرضون للخلاف بين الكوفيين والبصريين، ولم يشيروا قط الى خلاف بين البغداديين والكوفيين.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2086)
السنة الثامنة
الخميس (31)
اذار 2011

من دعاة تيسير النحو العربي

المخزومي تلميذ نجيب لأستاذه الفراهيدي

د. مهدي صالح الشمري

بين المخزومي والخليل بن احمد الفراهيدي تلمذة وصحبة، ظهرت ثمرتها الاولي سنة 1951م في رسالة أعدها التلميذ لمرحلة الماجستير عن الاستاذ، وقد نشرت هذه الرسالة في كتاب عنوانه :(الخليل بن احمد الفراهيدي- اعماله ومناهجه) عام 1960 في بغداد. قال المخزومي: (كنت قد تلمذت للخليل وصحبته وأخذت من هذه التلمذة وانست بالصحبة).

ولم تنته بانتهاء الرسالة والكتاب، اذ تواصلت الي مابعدهما، اذ يذكر المخزومي : انه (اذا ألمت بي حاجة الي توضيح غامض وتبين مبهم، بذلت ماتهيأ من جهد لاستشفاف روح الخليل وعقله واستكناه علمه).

ويقول ايضا: (اني لم أوف الرجل ولا استطعت ان ارسم له صورة مكتملة).

وبالرغم من انشغاله في الاعداد لمرحلة الدكتوراه يقول: (لم أنس الرجل ولم يضعف اعجابي به، وبما قدم للعلم والحضارة والتاريخ العربي الاسلامي من اسباب الاعتزاز والفخر) ويؤكد هذا القول باظهار كتابه الثاني عن الخليل بعنوان :(عبقري من البصرة) عام ١٩٧٢، الذي قال في مقدمته: (جاءت الفرصة ان أجدد العهد به وان لم تنقطع صحبتي له، وان أرد بعض ماله علي وأدفع بعض ما استطيع دفعه.. واستدرك مافات همي ومطلبي من تعليقات وزيادات ألحقها بأصل الرسالة).

وواصل المخزومي اهتمامه بابداع الخليل ولاسيما وقفته في وجه موجة التشكيك التي قادها الذين درسوا علي الغربيين من الذين شنوا حملات الاساءة الي التراث العربي الاسلامي، من دون استناد الي موضوعية او حقائق علمية، وقد انطلقوا هم واساتذتهم من نفي اية حسنة تنسب الي هذه الامة حتي في لغتها التي كانت مدار الاعجاز السماوي وساحة التحدي لما كان يحسن من واجهتهم الدعوة الاسلامية.

خاطب المخزومي هؤلاء بقوله: (قد استعظم بعض ذوي القصد السيء وبعض ذوي الغفلة وبعض المقلدين من الدارسين المحدثين ان يتفرد الخليل بالمنجزات العلمية، فراحوا يتخبطون في المزاعم تخبطاً، ويخلطون في الاراء تخليطاً، فنسبوا النحو لليونان.. والسريان.. وشككوا في نسبة كتاب العين.. اذ نسبوه الي الهنود مرة والي الصينيين اخري وانكروا ابتداعه).

(فلم تصمد امام الحقائق، ولم تثبت امام حكم التاريخ، ولم تنل بالسوء عمل الخليل، ولا استطاعت ان تمحو اثاره .. ولاقويت.. علي اخفاء الحقيقة الناطقة بعبقرية الرجل الذي آمن بالعقل هادياً وبالعلم مرشدا وبالفكر وسيلة وبطلب العلم وخدمة الحضارة غاية فنأي (هذا العملاق) عن كل مافي الحياة من بهرجة، وعن كل مافي نفوس الناس من جشع، واغلق بابه دونه حتي لايجاوز همه).

ويهون المخزومي علي الخليل، وربما يهون علي نفسه كما سنري، هذا الانقطاع وهذه الوحشة مما ظهر او يظهر من جفاء في قوله: (ولن يضيرك يا أبا عبد الرحمن عقوق مايرتكبه تلاميذك في هذا العصر، كما لم يضرك من قبل حملات الحمقي واتهامات ذوي الغفلة، ودعاوي أدعياء العلم، سينشكف الغطاء الذي ران علي النفوس، وينقشع الضباب الذي اشاعته نفثات الحقد والحسد، وتبقي عبقريتك خالدة، وعربيتك صافية وحرفك متألقاً).

محنة المخزومي

لقد توطدت عند المخزومي المكانة الكبري للخليل بن احمد الفراهيدي العالم المتفرد والانسان الكامل والنموذج الذي يحتذي الذي لايدانيه نظير، فيقول فيه: (كان الخليل من أزهد الناس وأشدهم تعففاً، واعلاهم نفساً، يتأبي ان يبيع علمه بيع السلع، ويتعفف ان يوقفه علي مجالس الامراء وذوي السلطان وكان (غيره) فضلا عن انه علي شيء من اليسار، وعلي كثير من الحرص، لايأبي ان يمد يده حتي الي تلاميذه.. في المقابل يرد الخليل من يلوح له بالثروة والجاه.. رداً جافيا.. في ما يشد غيره الرجال طلباً لما عافه الخليل).

ولايجد المتتبع لما يعرض المخزومي سردا مجردا منفصلا عن شخصية كاتبه، بل فيه مافيه مما كان يعاني، ولعل عبارته: (الخليل يصرخ في مسمع الدهر ليلتفت اليه ويتحدث عنه باحاديث الخلود) هي تعبير عما يعتمل في صدر الرجل المعبر عن نفسه لان الدهر تحدث عن الخليل والتفت اليه، لكنه كان صامتا بازاء المخزومي في محنة اقصائه عن طلبته ومريديه في معاهد العلم وقاعات التدريس.

وفي تأمل المخزومي لسر عبقرية الخليل وابداعه وتكامل شخصيته يقول: (وُهِبَ عقل مستوعب، وذهن ناقد .. وبيئة البصرة.. والبوادي.. فالتقت في ذهنه كل تلك الثقافات، وحفظها وتمثلها، واعاد صوغها، واحكم بناءها وتبويبها وتصنيفها واضاف اليها تجاربه وأمدها بابداعه)وقد (طفر بالعقل من طور السذاجه والفجاجة الي طور النضج والاكتمال، واذا بالدرس اللغوي غير الدرس اللغوي، وبالنحو، غير النحو، واذا بالدارسين ينثالون علي مجلسه من كل جانب ومن كل أفق، ليعبوا من نحو الخليل في – الكتاب-) كتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ) الحاوي علم الخليل.

و (ليس العلم استيعابا للمسموعات، ولا استظهارا لمحفوظات ، لكن العلم هو الحفظ والفحص والنقد والتمثل) ويورد قول ابن المقفع في الخليل: (رأيت رجلا عقله أكبر من علمه) ويقول المخزومي :(طول التدبر والتفكر في ما في نفسه وفي ما حوله هو الذي وسع عقله وشحذ فطنته وأرهف حسه وفجر عبقريته (اذ) يخضع كل شيء لطول التدبر واعمال الفكر.. كان عالما من طراز خاص، ودارساً يتمثل به نوع أمة وعبقرية جيل).

وقد خطا الخليل بالنحو خطوات واسعة فاكتمل علي يديه ، بعد ان جاءه ممن سبقه، ثم اعاد النظر فيه بعد ان اجري وصفا جديدا للعربية استنادا الي مايسمعه بمشافهة الاعراب في بوادي نجد والحجاز وتهامة، كان يسمع من هؤلاء ليعيد النظر وليثبت اركان هذا العلم علي قواعد راسخة وأصول واضحة، انطلاقا من اللغة نفسها في التحليل والتأويل والافتراض والقياس..الخ لكن المتأخرين أقحموا المنطق وعلم الكلام والفلسفة وليس من هذا العلم فيه، وهذا ما رفضه المخزومي الذي تمسك بمنهج الخليل وانتقد الدرس النحوي الذي دب اليه الجدب الذي (أودي بحيويته وقدرته علي تأدية وظيفته وصار درسا في الجدال يعرض النحاة فيه قدرتهم علي التحليل العقلي بما كانوا يفترضون من مشكلات ومايقترحون من حلول).

وقد سمي النحو الذي ابتعد عن الغرض الذي أنشيء من أجله، بالنحو المريض، اذ يقول : (استطاع النحو المريض ان يعبر هذه الفروض وان يخطو ثقيلا علي العقول.. وسره ان يجد في مدارسنا الحديثة من يحتفي به ويفرضه علي الناشئة).

وقد ميز المخزومي بين نمطين من العلماء في تاريخ النحو العربي في كتابه (اعلام في النحو العربي) عام ١٩٨٢م ، نمط الخليل ومن سار علي نهجه وهو النمط الايجابي، والنمط الثاني النمط السلبي، وكانت غاية المؤلف لفت النظر الي (عصر ازدهار الدرس ويسهم في الدعوة الي الموازنة بين أول النحو واخره، والي احياء النحو، وتجديد ديباجته، ورد الاعتبار اليه، لان هؤلاء الاعلام هم الذين وضعوا قواعد هذا الدرس وهم الذين اعلوا صرحه، وهم الذين احسنوا رعايته وتنشئته.. وان الاخذ بأساليبهم، والاقتداء بهم باصطناع مناهجهم انما يعد احياء للدرس وانتصارا للدعوات الخيرة التي دعت الي تخليص النحو من قيوده الثقيلة والي تنقيته من الشوائب التي وسمته بها العصور المتأخرة عصور التخلف والانحطاط عصور الموسوعات والمختصرات عصور المنظومات والمتون والشروح والتعليقات، وشرح الشروح).

وقد أكد المخزومي ان (النموذج الذي يجب ان يحتذي.. أقصد الخليل بن احمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه عالم اهل البصرة وحامل علم الخليل، والفراء الذي فتح آفاقا جديدة لدرس ينبض بالحيوية والافق الاوسع، وعند المخزومي ان الاخفش (ت ٢١٥هـ) انموذج سلبي دعي متناقض متكسب ادركته حرفة الادب (وحرفة الادب آفة الادباء كما يقول الخليل)، لكنه لاينسي فضل الاخفش وحفظه ونقله لكتاب سيبويه.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2086)
السنة الثامنة
الخميس (31)
اذار 2011

ويجد المخزومي بين (المبرد ٢٨٥هـ) والخليل بونا شاسعا ذلك لاتجاه المبرد الي الجدل والمنطق والفرضيات والامثلة البعيدة عن الواقع اللغوي.. ثم التكسب بهذا العلم.

نقد وتقويم

ومن النماذج السلبية ابو علي الفارسي (٣٧٧هـ) الذي انصرف عن الرواية الي المبالغة في القياس وقد قال عبارته الشهيرة : (لئن أخطيء في مئة مسألة لغوية ولا اخطيء في واحدة قياسية). وقد رفض المخزومي هذا الاتجاه للانصراف عن المصدر الحيوي وهو السماع والمشافهة.. واخذ كذلك عليه بعده عن سلوك الخليل في ولوج القصور ومصانعة السلطان ومنادمة الامراء.

ومثلما انتقد الفارسي انتقد الرماني (٣٨٤هـ) الذي جاء بـ (نحو جديد لايتصل بنحو العربية من قريب او بعيد.. وليس فيه من نحو الخليل والفراء الا مصطلحات خالفت معانيها، والا عبارات غيرت دلالاتها.. لذلك كانوا يقولون : (النحويون في زماننا ثلاثة واحد لايفهم كلامه وهو الرماني، وواحد يفهم بعض كلامه وهو ابو علي الفارسي وواحد يفهم جميع كلامه وهو السيرافي).

والسيرافي (٣٦٨هـ) في اعتداد المخزومي وتقويمه: (كان زاهدا في المناصب قانعا بهذه الدراهم المعدودات يصرف فيها شؤونه وحاجاته مقتفيا المثل الاعلي في الزهد والعفة والاباء، والاقبال علي طلب العلم والانصراف عن الدنيا، الذي قل ان يشهد التاريخ له نظيرا اعني الخليل بن احمد الفراهيدي الذي ابتسمت الدنيا لتلاميذه وهو في خص لايشعر به احد، وكان ابو سعيد السيرافي كثير الاستشهاد باقواله شديد الميل الي احتذائه).

ثم ابن جني (ت ٣٩٢هـ) تلميذ ابي علي الفارسي الذي وضعه المخزومي في خانة الايجاب خانة الانصراف الكامل للعلم خانة الخليل ابن احمد الفراهيدي وقال فيه : (كان لايدع فرصة الا استغلها في طلب العلم فكان ان احتل مركزا مرموقا وقدم للدرس العربي مددا جديدا، ولمجالس الدرس مواد جديدة، وخاض مجالات للدرس عزيزة علي غيره من الدارسين منذ ان توفي الخليل والفراء فكان ابو الفتح (ابن جني) بحق متمما لما بدأه الخليل من بحوث في اللغة تتعلق بدراسة الصوت، وبنية الكلمة.. وكان في مقدمة اعماله الفخمة كتابان مايزالان مرجع الدارسين في فهم آراء الخليل.. وهما: (سر صناعة الاعراب).. وكتاب (الخصائص) في اصول الدراسة النحوية).

لكن المخزومي يأخذ علي ابن جني اهماله نسبة آراء الخليل لصاحبها وكأنها له: (حتي خيل للدارس انها لابن جني ويزيد ابن جني في حمله علي مثل هذا التخييل ان ينسب الي نفسه امورا لو تتبعها الدارس الفاحص لأوصله تتبعه الي الخليل من هذا مقالته التي عقد لها بابا سماه: امساس الالفاظ اشباه المعاني). ومافات المخزومي النظر في دعوة ابن مضاء القرطبي الاندلسي التي دعا بها الي هدم نظرية النحو المشرقي استنادا الي مقاييسه التي تحترم منهج الخليل فيقول :(ثم نحاة الاندلس وهم النحاة المشرقيون- اللهم الا ما كان من ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) الذي درس كتاب سيبويه.. وكان يضيق بمعاصريه من النحاة.. وكان يغيظه منهم اندفاعهم في التقليد فطالب النحاة ان يحذفوا من مايستغني عنه ودعاهم الي الغاء فكرة العامل) ثم يبين المخزومي رأيه في هذه الدعوة: (لست ممن يجحد لابن مضاء ومضة ذهنه او يوهن دعوته القوية العارمة، ولكني انست من بعض اقواله لمحات رجعت بي الي ماوجدته عند الفراء وغيره ولم يكن كتاب - الرد علي النحاة لابن مضاء- في واقعه خطة لدرس جديد ولكنه طائفة من آراء متفرقة اراد صاحبها ان يهدم بها بناء تعاونت القرون علي اقامته دون ان يقدم للدرس خطة جديدة ينبني عليها نحو جديد) وهذه الخطة هي ماكان من سعي المخزومي ودأبه كما سنري.

وأصل رد ابن مضاء علي النحاة انهم (التزموا مالايلزمهم وتجاوزوا به القيد الكافي في ما ارادوا منها وتوعرت مسالكها ووهنت مبانيها وانحطت عن رتبة الاقناع حججها).

غير ان المخزومي الذي وضع الخليل وعصره المثال الذي يحتذي وبه يجب ان يتمسك قائلا :(فاذا بهذه الدراسة ناصحة مكتملة، منهجا واصولا ومسائل، وقد بلغت ذروتها علي يد الخليل بما قدم لها من اعمال وقد ساعد الخليل علي ان يمضي بهذه الدراسة شوطا بعيدا في النضج والاكتمال ماتيسر له ولمعاصريه من مصادر لغوية منقولة له من شعر وخطب وامثال ومن مصادر حية كانت بوادي نجد والحجاز وتهامة تحفل بها، اعني العرب الفصحاء).

وبالرغم من اعتراض المخزومي علي ابن مضاء ومجمل دعوته يوافقه في الغاء نظرية العامل والتقدير والغاء العلل الثواني والثوالث، في قوله : (ان نخلص الدرس النحوي مما علق به من شوائب جرها عليه منهج دخيل، هو منهج الفلسفة الذي حمل معه الي هذا الدرس فكرة (العامل) واذا بطلت فكرة العامل بطل مايبني عليها من تقديرات متمحلة وكان الخليل بن احمد اذا تناول مسألة.. نحا فيها نحوا مقبولا في نظر الدرس اللغوي ولم يفلسف المسألة او يتكلف تعليلا عقليا، وانما يستعرض في ذهنه استعمالات العرب واساليبهم، وكان الفراء، وهو اشبه الدارسين بالخليل يتناول القياس تناول الخليل اياه.. دون ان يتكلف واستناجا، او يتمحل في استنباط.. ان ماجاء به الخليل والفراء ليس من النحو الخالص، وانما كان درسا شاملا لفروع الدراسة النحوية واللغوية والصرفية والصوتية).

واصبحت الحاجة ماسة الي تفريق الموضوعات التي هي خليط من العلوم اللغوية من التي تناولها الخليل والفراء ومن عاصرهما مختلطة متشابكة.. (من اجل ان طبقات النحويين الذين جاؤا بعد الخليل والفراء لم يدركوا موضوع دراستهم ولاعرفوا حدود تخصصهم وقد فاتهم الكثير من الاصول التي هي من صلب موضوع الدراسة ولم يلتفتوا الي اهميتها والي عمق الصلة بينها وبينه واقتصروا في دراستهم علي ماشغفوا به من فكرة العمل والعامل، وقصروها علي ما كانوا يلاحظون من تأثير لبعض الكلمات في بعض ولايمثل هذا الاجانباً ضئيلا من جوانب الدرس النحوي الحق..) وقد اعتذر المخزومي لهؤلاء المتأخرين بالاستناد الي المتاح والمتيسر من اتصال النحويين بالمتكلمين او قد يكون بعضهم منهم، وان المنهج لم يتضح ويستقر عندهم، ولاعهد لهم بمناهج البحث العلمية الرصينة انما كانوا في مرحلة النشأة والبداية.

الدعوة الى التجديد

والمخزومي نفسه يقر مايجده مقبولا عند القدماء، كالقياس ولاسيما قياس الشبه بين المقيس والمقيس عليه، اذ يقول : (لا اريد ان ابطل القياس.. لان القياس الطريق الطبيعية لاستنباط حكم لغوي او نحوي ، وهو حمل مجهول علي معلوم، وحمل مالم يسمع علي ماسمع، وحمل ما يجده من تعبير علي مافي الذاكرة.. قال الكسائي:

انما النحو قياس يتبع
وبه من كل علم ينتفع

وعند المازني ماقيس علي كلام العرب فهو من كلام العرب..

ثم صار القياس منهجا سار فيه النحاة شوطاً بعيدا حتي اصبح وكانه النحو، والنحو كأنه هو التفنن في تطبيق القياس وكأن في مقدمة هؤلاء القياسين ابو علي الفارسي) الذي مرت مقالته في القياس علي حساب كلام العرب او السماع منهم او الرواية عنهم. ولكن اين نجد موقع المخزومي الحقيقي وموقفه من ثورة ابن مضاء القرطبي علي النحو والنحويين ودعوته هو نفسه الي التجديد وانتقاده كذلك مناهج النحويين المتاخرين واعتقاده بتشويههم مابدأه الخليل بن احمد الفراهيدي الذي وضع المناهج السديدة.. نقول: ان دعوة المخزومي تقوم علي تجديد منهج النحو وتحديده وتخليصه من الشوائب وتيسيره علي الناشئة، وليس التيسير عنده اختصارا ولاحذفا لشروح وتعليقات لكنه عرض جيد لموضوعات هذا الدرس ليناسب اهل هذا العصر، وغير منقطع عن منابعه الصافية، وفي رأيه ان علي المجددين اتخاذ ثلاث مراحل للوصول الي الجديد :(المرحلة الاولي: احياء اثار السلف الذي كان من اللغة الحية، والثانية: تصنيف الكتب والرسائل الجامعية التي تتناول بالدرس شيوخ النحو الاوائل، والثالثة: نقد النحو القديم والدعوة الي احيائه، او تجديده ليتلاءم ومتطلبات الدرس اللغوي الحديث) ويشترط (علي الدرس النحوي ان : يهتم بالجملة من حيث تأليفها ونظامها ومن حيث طبيعتها واجزاؤها في اثناء التأليف.. وكذلك معني الجملة ودور الادوات والاساليب كالتوكيد والنفي والاستفهام والشرط.. الخ، ومناسبات القول ومقتضيات الخطاب، وعلي النحوي ان يصف مايجري علي الكلمة والجملة فالفاعل (مثلا) مرفوع.. ولاحاجة ان يفلسف.

ونلحظ ان اكثر ما اقترحه المخزومي من جديد افاده من القديم بعد ان اتقنه وخبر مسالكه وعرف دقائقه فاعاد النظر في بنائه وشجع تلامذته وقارئيه علي اعادة التفكير بما كان يبدو مسلمات في النحو العربي والي الاسهام في اكمال المشروع القديم الجديد الذي بداه المرحوم ابراهيم مصطفي في كتابه (احياء النحو) ولاسيما ما جاء في كتب المخزومي : (في النحو العربي- نقد وتوجيه) ١٩٦٤م و (في النحو العربي- قواعد وتطبيق)١٩٦٦م وغيرهما.

ويظهر المخزومي تواضعا فيما جاء به من تجديد في قوله: (لا ازعم انني حللت مشكلات النحو، او رسمت له المنهج كما ينبغي ان يرسم له فمازالت معالجات نظرية، واصولا تحتاج الي مايوضح سبيلها في التطبيق). لكنه في الحقيقة اثر في الجيل الذي تلمذ عليه مباشرة او علي كتبه، واهم تاثير كان في نقده واجتهاده واقتراح بديله الجديد الاصيل، ومن جديده علي سبيل المثال حديثه عن الجملة وعناصرها، وتحديد هذه العناصر بالمسند اليه المتحدث عنه او المبني عليه والمسند الذي يبني علي المسند اليه ويتحدث به عنه والاسناد ارتباط المسند بالمسند اليه وعنده ان: ياعبد الله ، مركب لفظي لايرتفع الي منزلة الجملة ولا يصح تسميته بالجملة.

وانه رفض تقدير مالا لزوم لتقديره، وعنده ان (الانعام) في قوله تعالي : (والانعام خلقها) مفعول للفعل المذكور (خلق) والضمير (ها) لايصلح ان يكون مفعولا لانه كناية عن المفعول به واشارة اليه، وان المفعول هو المتقدم علي الفعل - الانعام- وقد قدم للاهتمام به، وهذا قريب من رأي الكوفيين، وان :اقائم الزيدان لايصح القول بان (قائم) مسند اليه لانه مسند ابدا، والمسند اليه مابعده وان اعترض القدماء بـ : اقائمان الزيدان، اي المطابقة بين المبتدأ او الخبر وابتعاد (قائم) في هذه الجملة عن ان تكون مسندا بسبب هذه المطابقة ويرد علي المعترضين بلغة : اكلوني البراغيث، ومثلها قوله (ص): يتعاقبون عليهم ملائكة) ..الخ..

وازعم ان دارس النحو علي يدي المخزومي يقبل علي هذا العلم وقد تخفف من الاعباء التي قيد بها القدماء مالا يلزم ان يقيدوا به انفسهم هو ركام يكثر فيه مالا ينفع في فهم او تكلم او تعبير ويجد هذا الدارس اذا كان جادا رغبة بمشاركته في دعوته في التجديد ولاسيما عندما يجد هذا القاريء عجز الطلبة ونكوصهم وتراجع تحصيلهم في هذه المادة اللغوية المهمة في العلم والتعليم.

ولو قيض لهذا النحو الجديد من اللغويين والتربويين بان يقدموه تقديما جديدا يناسب كل مراحل التعليم هيأوا له مستلزمات النجاح التعليمية من طرائق ووسائل وخطط قريبة ومتوسطة وبعيدة وأسس علمية وبحثية تقيس مدي التقدم الذي يتحصل لتعزيزه والاخفاق لتداركه بعد معرفة اسبابه.. ولايتحقق كل ذلك الا بوجود مؤسسات بحثية جادة حديثة ترعي مشروع تجديد تدريس النحو والعربية عامة. اقول هذا استنادا الي فشل تطبيق دعوة الدكتور مهدي المخزومي في نهاية العقد الخامس وبداية العقد السادس من القرن الماضي، اذ لم يقتنع بهذه الدعوة من أوكل لهم مهمة التنفيذ، ولم يعد الملاك المناسب من المعلمين والمدرسين علي وفق متطلبات التجديد حتي يعتمد عليهم في تحقيق النجاح، فضلا عن الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي رافقت مرحلة التنفيذ، وكذلك اجواء العداء والتشكيك والتشويه التي كان يبثها جيش المدافعين عن التقليد والمتمسكين بالقديم لمجرد قدمه.

وقد علمت هذه التجربة المختصين ان فشل التطبيق لاصلة له بأصل دعوة التجديد، والدليل ان التجديد تجلي بالاخذ بالكثير من مقترحات المخزومي

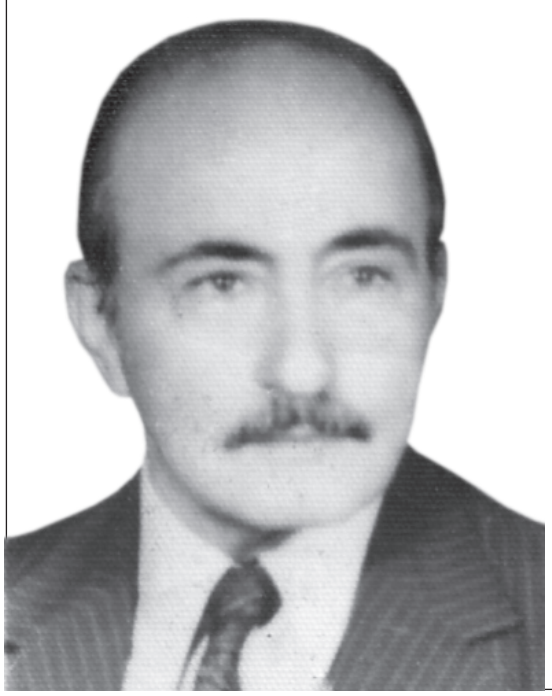

لو قيض لهذا النحو الجديد من اللغويين والتربويين بان يقدموه تقديما جديدا يناسب كل مراحل التعليم هيأوا له مستلزمات النجاح التعليمية من طرائق ووسائل وخطط قريبة ومتوسطة وبعيدة وأسس علمية وبحثية تقيس مدي التقدم الذي يتحصل لتعزيزه والاخفاق لتداركه بعد معرفة اسبابه..

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2086)
السنة الثامنة
الخميس (31)
اذار 2011

تجارب في تيسير النحو عن مهدي المخرومي

وضوح المنهج وحداثة الرؤية

د. باقر الكرباسي

كانت اللغة العربية -وما زالت- موضع عناية العلماء علي مر العصور لأنها لغة القرآن الكريم، قال تعالي: (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)، وقال عز وجل: (وكذلك أنزلناه قرآناً عربيا).بفضل القرآن الكريم ظلت اللغة العربية الفصيحة لغة الأدب والكتابة حتي يومنا هذا، وستبقي ما دام هناك قرآن يتلي، وقد كفل الله تعالي له الحفظ فقال عز وجل: (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)وكانت هذه اللغة الفصيحة تخضع لقوانين تضبطها وتحكم عبارتها، وبعد ان انتشر الإسلام وامتدت فتوحاته ازداد اختلاف لهجات المحادثة بسبب اختلاط العرب بالأعاجم، فظهر اللحن، (والدلالة الأصلية لمادة لحن: هي الميل عن الصحيح، ولما كان اللحن خاصاً بالنطق فهو. اذا . ميل اللسان عن النطق الصحيح). فبدأ اللحن يسيراً أول الأمر زمن الرسول (ص) فقد ذكر ابن جني (ت ٣٩٢هـ) أن رجلا لحن بحضرة الرسول (ص) فقال: (ارشدوا أخاكم فقد ضل) فعد لحن الرجل ضلالة لأن الخطأ في الكلام قد يؤدي إلي الخطأ في القرآن الكريم، وكان الرسول الكريم (ص) وأولو الأمر يعدون اللحن معرة ولا يتسامحون فيه فقد روي عن رسول الله (ص) قوله: (أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأني لي اللحن).

والنحو العربي لم ينشأ كامل الأصول، تام الفصول مستوفياً قواعد اللغة من بادئ الأمر اذ نما شيئاً فشيئاً حتي تناخي له رجال دافعوا عنه للمحافظة علي لغة القرآن الكريم من شيوع اللحن وكثرة الخطأ.

اما عن نشأة النحو العربي يقول ابن الانباري (ت ٥٧٧ هـ): (الصحيح ان أول من وضع النحو علي بن أبي طالب (رض)، لأن الروايات كلها تسند إلي أبي الأسود، وأبو الأسود يسند الي علي، فأنه قد روي عن أبي الأسود انه سئل فقيل له: من أين لك هذا النحو؟ قال: لفقت حدوده من علي بن ابي طالب)، اما سبب وضع الإمام علي (عليه السلام) لهذا العلم ما رواه ابو الأسود قال: (دخلت علي امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رض) فوجدت في يده رقعة، فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: اني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء (يعني الأعاجم) فأردت ان أضع لهم شيئاً يرجعون اليه ويعتمدون عليه. ثم ألقي الي الرقعة وفيها مكتوب: (الكلام كله أسم وفعل وحرف فالأسم ما أنبأ عن المسمي، والفعل ما أنبئ به والحرف ما جاء لمعني) وقال لي: أنح هذا النحو وأضف اليه ما وقع اليك).

ونشأ النحو العربي وأقر العلماء تسميته بالنحو استبقاءً لكلمة الامام وقامت النهضة النحوية بالبصرة قبل الكوفة اذ كان في اهلها ميل بالطبيعة الي الاستفادة من هذا الفن أتقاءً لوباء اللحن الزاري بصاحبه.هذا الوباء الذي تفشي بالبصرة لكونها مرفأ بحرياً علي استعداد لاستقبال أجناس متعددة من الأجانب، ولكن سكن الي جوارهم عرب اقحاح أهتموا باللغة العربية لرد فعل لهذا اللحن حفاظاً عليها من الضياع والأندثار، وساعدهم علي ذلك الأستقرار السياسي.أما الكوفة فهي ثغر من ثغور البادية العربية تفد اليها القوافل العربية فانشغلت برواية الشعر العربي، وأخبار العرب ارضاءً للأرستقراطية البدوية التي ظلت مسيطرة علي الحياة الاجتماعية فيها.

فضربت الكوفة بهذا (النحو) عرض الحائط، وتركت البصرة تسعي اليه وتنهض به.أما في عصرنا الحاضر وبعد ان أصبحت مدرسة الكوفة لها قواعدها وأصولها تصدي لها وكتب عنها أكثر من عالم معاصر كان منهم الأستاذ الدكتور مهدي المخزومي (رحمة الله).

حياته ونشأته

هو الدكتور مهدي بن الشيخ محمد صالح بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد صالح آل زايردهام الشهير بالمخزومي، عالم أديب شاعر من أسرة عربية علمية عريقة هاجرت الي النجف في أوائل القرن الثاني عشر الهجري، وترجع آل زايردهام الي قبيلة بني خالد الشهيرة وبنو خالد بطن من مخزوم كما ذكر السويدي في سبائك الذهب.

ولد الدكتور مهدي في النجف الاشرف عام ١٩١٩ ونشأ بها علي أخيه، وبعد أن تعلم القراءة والكتابة دخل مدرسة الغري الأهلية وتخرج فيها، ثم دخل المتوسطة فلم يتمم الصف الأول منها وأنحاز الي المدرسة القديمة فدخل مجموعة الجامع الهندي اذ أخذ يقرأ المقدمات وكان معروفاً منذ الصغر بالذكاء الحاد والخلق الرفيع، درس معالم الأصول علي العلامة الشيخ عباس المظفر وشيئاً من اللمعة وترك الدراسة الحوزوية عام (١٣٦٥هـ/ ١٩٣٧م) اذ عين معلماً في سوق الشيوخ، وفي عام ١٩٣٨م سافر الي مصر عضواً في البعثة العلمية وحصل علي شهادة الليسانس من كلية الآداب (جامعة القاهرة) عام ١٩٤٣م وعند رجوعه عين مدرساً في الرستمية أربع سنوات، ثم سافر الي مصر مرة اخري في أوائل عام ١٩٤٨م لإكمال دراسته فحصل علي الماجستير عام ١٩٥١م برسالة علمية رصينة عنوانها (الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه) ثم حصل علي شهادة الدكتواره عام ١٩٥٣م برسالة علمية أخري عنوانها (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، بعدها رجع الدكتور المخزومي الي العراق فعين مدرساً في كلية الآداب والعلوم، وبعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م تولي رحمه الله عمادة كلية الآداب في جامعة بغداد، وأسهم في تأسيس اتحاد الأدباء في العراق كما أسهم في نشاط (جمعية الرابطة العلمية والأدبية) في مدينة النجف الاشرف.. وفي عام ١٩٩٣م توفي الدكتور مهدي المخزومي عن عمر قضاه في خدمة العلم ولغة القرآن الكريم.

شغفه بالعربية

كان للنشأة التي نشأها المخزومي أثرها الكبير في حبه للعربية وعلومها لأن مدينة النجف كانت وما زالت مدينة الأدب والفقه والمنطق والأصول والشعر وعند دخول طالب العلم لها تضيف له كثيراً فكيف اذا كان من أبنائها؟ واحد أبناء فقهائها- اذ كان والده الشيخ صالح من الفقهاء- هذه هي البيئة التي عاش فيها المخزومي أوائل حياته، بيئة علمية أدبية أعطته محبة الأدب والشعر وما انتماؤه الي الرابطة العلمية الأدبية الا دليل علي ذلك، وبعد حصوله علي البعثة العلمية الي مصر وسماعه دروس ومحاضرات كبار الأساتذة المصريين أزداد شغفه وحبه للعربية وعلومها. فقرر ان يخوض غمارها فأجتهد وتفوق واصبح معلماً من معالم النحو لم يتوقف عطاؤه الا قبل وفاته.

محاولة الدكتور المخزومي لتيسير النحو

كان المخزومي يعد العلم وإيصاله الي طالبيه رسالة يجب علي العالم ان يؤديها كما يجب علي صاحب العلم ان ينهج في تأديتها نهجا واضحا سليما ليقدر علي أدائها، وعلم العربية يرتبط بلغة أمة وحضارة وايصاله الي طالبيه للمحافظة علي سلامة هذه اللغة وتطويرها ينبغي ان يكون في أوضح السبل وأيسرها لذا كان المخزومي صاحب منهج في اللغة ثم صاحب محاولة لتيسير الاحاطة بها والأفاده منها. فبعد عودته من مصر اشاع آراءه وعلمه في اصلاح النحو بمحاضراته في جامعة بغداد ثم جامعة الرياض وفي ابحاثه التي نشرها، ثم وضع نظريته وأفكاره في قضايا العربية ومنهج تيسيرها في كتابيه (في النحو العربي، نقد وتوجيه) بيروت، ١٩٦٤م و(في النحو العربي، قواعد وتطبيق) القاهرة، ١٩٦٦ فهما خلاصة محاولات النحو من ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) الي شيخة المرحوم ابراهيم مصطفي(١٨٨٨-١٩٦٢م) صاحب كتاب أحياء النحو وشيخ المجددين فبعد ان احاط المرحوم المخزومي بالدرس النحوي ومنابعه الصافية في دراسته العليا بالقاهرة ومناقشته رسالتين علميتين رصينتين، عاد وهو يحمل أفكارا لاصلاح النحو علي اساسين أعتمدهما، الاول: تحديد المنهج العلمي لمعالجة العربية لكي يتضح للدارس سبيل أخذها والإلمام بها ثم سلوك سبيل التيسير، والثاني: عدم التعقيد ليبلغ الدارس الغاية والهدف من العلم بها فيكون سبيل الإحاطة سالكاً غير وعر ولا موحش.

سلك الدكتور المخزومي في كتابيه المذكورين المنهج العلمي الحديث فكان واضح المنهج سهل الترتيب يعتمد علي آراء ائمة النحو واللغة وأستخلاص أهم

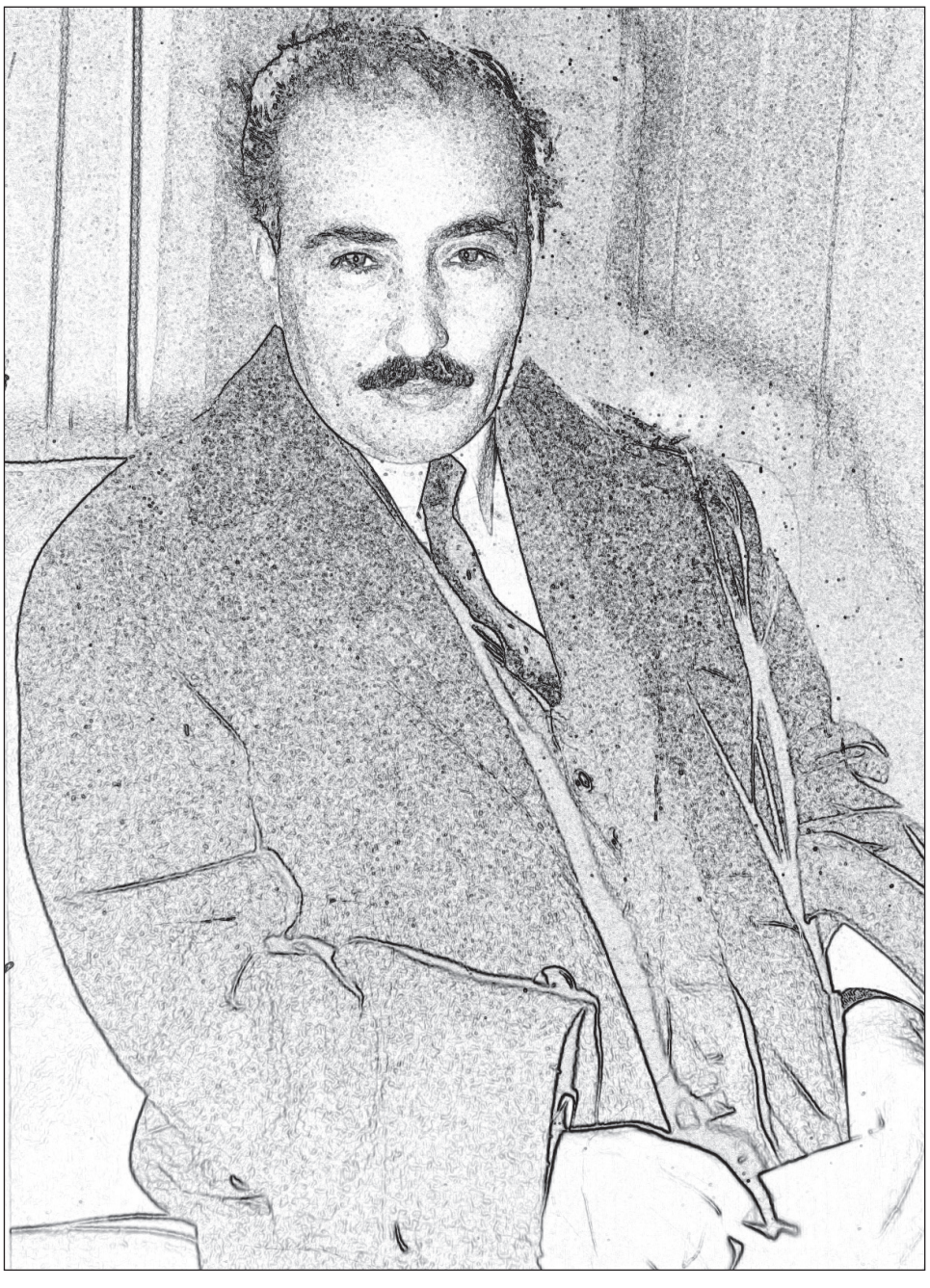

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2086)
السنة الثامنة
الخميس (31)
اذار 2011

العناصر والآراء التي تصلح لأقامة صرح النحو الحديث علي أصول علمية واضحة تعينه في كل ما ذهب اليه قيمة الرأي في ذاته دون تميز لبصري او كوفي او اندلسي او بغدادي، وقد تأثر المخزومي في كتابيه بالنحو الكوفي ومصطلحاته من جهة وبكتاب (الرد علي النحاة) لابن مضاء القرطبي من جهة أخري، ولكن لم يقف عند هذا التأثر فأستحدث أموراً استفادها من تجاربه العلمية وقد عده الاستاذ مصطفي السقا الخطوة الواسعة الاولي في تيسير النحو علي طلاب المدارس والمعاهد، وحسبه انه ابطل كثيراً من مشكلات التأويل والتقدير والاضمار والعلل الثواني والثوالث والاقيسة البعيدة، هذه المحاولات يشد بعضها بعضاً وآخرها امتداد لأولها ولكل ما ظهر بينها فهو يجري في مجراها او يذهب الي ما قاله القدماء لا يخرج عن ذلك.

فتعد محالة المرحوم المخزومي وأستاذه ابراهيم مصطفي تيسير النحو محاولة جادة انطلقت من تراثنا اللغوي نحو تطويره والنظر الي الدرس النحوي الحديث نظرة ثانية.

وفي كتابه (الدرس النحوي في بغداد) الدي اصدره عام ١٩٧٥م، اذ يري فيه عدم ظهور مدرسة بغدادية نحوية لها ما يميزها عن سواها من المدارس النحوية الاخري وأنما هي في الحقيقة امتداد للمذهب الكوفي لأن أكثر رجالها كوفيون قطنوا بغداد.

ومما يدل علي ان البغدادية والكوفية جماعة واحدة ان الدارس لا يكاد يقف علي خلاف مذهبي بين البغداديين والكوفيين وان الخلاف انما يتمثل في ما بين الكوفيين والبصريين وبين البغداديين والبصريين وان الدارسين المتأخرين الذين عنوا بأمر الخلاف كانوا يعرضون للخلاف بين الكوفيين والبصريين ولم يشيروا قط الي خلاف بين البغداديين والكوفيين.

وبعد ان صدر قانون الحفاظ علي سلامة اللغة العربية رقم ٦٣ لسنة ١٩٧٧ قال المرحوم المخزومي مقترحاً: (صدر قانون الحفاظ علي سلامة اللغة العربية رقم ٦٣ لسنة ١٩٧٧، واللغة العربية أحوج ما تكون الي مثله والدارسون من طلبة و اساتذة يعانون دراستها وتدريسها والعرب في كل مكان يجأرون بالشكوي من صنيعة العربية في ابنائها فكان صدروه بمثابة يد قوية رحيمة امتدت لتنتشل اللغة من وهدتها وتعيد اليها اعتبارها المضيع وما اظن لغة من لغات امم الارض لقيت من ابنائها مثلما لقيت العربية من ابنائها من عزوف وأهمال ولذلك اسباب خارجية وداخلية اما الاسباب الخارجية فأسباب سياسية واستعمارية معروفة، وأما الأسباب الداخلية فأسباب تعود الي أوضاع اجتماعية متخلفة والي امية خيمت دهرا علي هذه الامة والي عقم في التدريسات وسوء اختيار الكتب المدرسية). ما قاله الدكتور المخزومي لهو تشخيص دقيق لضعف طلبتنا في مادة النحو وعدم اهتمامهم بها وما اقترحه انه العلاج الناجح لكي ننجح في اعطاء مادة نحوية يسيرة الي طلبتنا.

الدكتور المخزومي ومدرسة الكوفة

يقول الدكتور مهدي المخزومي عن سبب اختياره (مدرسة الكوفة) مادة للبحث الذي قدمه وتبناه في ما بعد: (وكنت في اثناء دراستي للخليل أضيق احياناً بما سلكه البصريون الذين جاءوا بعده مما لم يتح لهم ما أتيح للخليل من وفرة في المصادر، ومن فكر مبدع ناقد ومن حس دقيق بالعربية، وراحوا يدرسون النحو في غير منهجه، ويدعمون اصوله بأصول المنطق وقواعد العقل، فذهبوا ببريقه وعصفوا بروحه، وتناولوه علي انه صناعة لفظية تقوم علي البراعة في تصريف الألفاظ واختراع القوالب حتي عاش فيه الجمود وأصيب بالجدب المخيف)

هذا من ناحية ومن ناحية أخري: (فقد كنت - وأنا ادرس الخليل- ألمح في آراء الكوفيين منافذ يطل منها الدارس علي فقه العربية، وحس بطبيعتها، وأحسست ان منهجهم في هذه الدراسة يصلح ان يكون قاعدة لبناء جديد). فقد كشف الدكتور المخزومي في بحثه عن مدرسة الكوفة عن طبيعة الدراسة الكوفية واعتمادها علي الرواية والنصوص العربية، قرآنية وشعرية وغيرها، أكثر من اعتمادها علي الأقيسة النظرية المنطقية، التي عول عليها البصريون في مناهجهم وطردوا عليها قواعد النحو طرداً عقلياً صرفاً، وقد وازن الدكتور المخزومي بين آراء الفريقين، وفضل رأي الكوفيين في كثير من مواضع الخلاف والجدل بين المدرستين.

أما الظاهرة النحوية لدي الكوفيين فهي أبعد ما تكون عن الخلوص للنحو بمعناه الأصطلاحي، ففيها روايات في القراءات ومعاني القرآن ونوادر ادبية وغرائب الألفاظ وأقوال نحوية منثورة.

وهذا هو الذي خلط بين الدراسات اللغوية عند الكوفيين والدراسات النحوية فلم يفصلوا بين دراسة الأصوات والبناء عن دراسة التأليف والنظم وهي دراسة النحو، والمنهج اللغوي يقتضي دراسة الأعراب.

وقد توصل المخزومي الي هذا الملحظ الدقيق وعقد له فصلين في (مدرسة الكوفة) تناول في الاول الدراسة اللغوية التي تتناول الأصوات من حيث صفاتها وتآلفها، وما يترتب علي ذلك من ظواهر لغوية، وتناول في الثاني آراء الكوفيين في دراسة الكلمات من حيث تأليفها في جمل وهي الدراسة النحوية فكانت الظاهرة النحوية لدية نتيجة للظاهرة اللغوية، او انها مبنية علي الجهد اللغوي القائم علي اساس القراءات وأصواتها، ومخارج حروفها وتقطيع كلماتها فكانت دراسة الكلمة من حيث بناؤها وتركيبها، وهي دراسة صرفية تفضي الي دراستها من حيث تأليفها في الجملة مع غيرها، وذلك موضوع النحو بمعناه الخاص.

ومن آرائه التي يؤكدها يقول: (في باب الاستعمال وأثره في البنية ان المدرسة الكوفية تميل الي تحكيم الحس اللغوي في تتبع الظواهر اللغوية، ومدرسة البصرة تميل الي تحكيم الأصول العقلية في دراستها، فالكوفيون يذهبون الي ان السين التي تدخل علي فصل المستقبل نحو: (سأفعل) أصلها (سوف) ومن كثرة الاستعمال اختزلت الي السين والبصريون يذهبون الي ان اصلها بنفسها، لأن السين صرف فينبغي ان يكون أصلا بنفسه لا مأخوذا عن غيره)

ويرجع الدكتور المخزومي فكرة العامل اللغوي للكوفيين، فكان له نفوذ اقوي في أعمالهم ودراساتهم، ولم يهتموا كثيراً بالفلسفة الكلامية والتعليل المنطقي كما أهتم بها البصريون، كما يلخص المخزومي رأيه بالعامل اللغوي مؤيداً الكوفيين قائلاً: (والأصول النحوية ليست إلاّ عادات كلامية وظواهر لغوية خاصة والنحو أنما يخضع لهذه العادات او الظواهر ويفسر بها، وهي مما يعلل لأنها مستمده من الظواهر اللغوية العامة).

مكانته العلمية وما قاله العلماء عنه

تحدث علماء واساتذه كبار عن علمه وجهده ومشروعه الجاد في تيسير النحو، فقد قال عنه الأستاذ الجليل مصطفي السقا في مقدمة كتاب المخزومي (في النحو العربي نقد وتوجيه) : (من أجل هذا كله وضع الدكتور مهدي المخزومي كتابه في النحو العربي هذا وهو حلقة اولي تتبعها حلقات كثيرة اخري في سلسلة علمه الذي وقف عليه حياته لتخليص النحو العربي من الشوائب التي علقت به). وقال الأستاذ السقا ايضاً: (وتعد دراسته بحق تطويراً جديداً وتوجيهاً حديثاً للدراسات النحوية، وان شئت فقل انها هي التطوير الحقيقي الذي سيبقي اثره وهي تتمم ما بدأه ابن مضاء القرطبي في كتابه الرد علي النحاة وابراهيم مصطفي في كتابه احياء النحو)

وقال الاستاذ السقا ايضا بعد اشرافه علي رسالة الدكتوراه للمرحوم المخزومي عام ١٩٥٣ في جامعة القاهرة: ولست اعلم بحثا نحوياً استوفي مطالب البحث العلمي الدقيق كما تحققته في هذا البحث الذي صدر عن كاتبه في أناة ودقة، وطول تتبع، وأستقامة فكرة، وأصالة منهج، ووضوح نتائج، وغزارة مادة، مع صفاء العبارة، وأشراقة الديباجه).

وقال الدكتور حلمي خليل: (كان المخزومي صوتاً عاليا وجهداً جاداً في مجال الدرس النحوي لفت انظار الدارسين في العراق والوطن العربي).

اما الاستاذ الدكتور زهير غازي زاهد فقد قال: (لقد كانت كتب المخزومي وبحوثه تتسم بوضوح المنهج وحداثة الرؤية وقوة العبارة وسلاستها مع سهولتها وبلاغة تركيبها).

مؤلفات الدكتور المخزومي

١. الخليل بن احمد الفراهيدي، اعماله ومنهجه: بغداد، ١٩٦٠

٢. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: بغداد/١٩٥٥ ط١، القاهرة/ ١٩٥٨ ط٢، بيروت/ دار الرائد العربي ط٣، ١٩٨٦

٣. في النحو العربي، نقد وتوجيه: بيروت/ ١٩٦٤.

٤. في النحو العربي، قواعد وتطبيق: القاهرة/ ١٩٦٦.

٥. الدرس النحوي في بغداد: دار الحرية/١٩٧٥.

٦. اعلام في النحو العربي: سلسلة الموسوعة الصغيرة ٦٠، بغداد، ١٩٨٠

٧. ديوان الجواهري (سبعة اجزاء): تحقيق مع ثلاثة أساتذة كبار، وزارة الإعلام (١٩٧٣- ١٩٨٠) ، بغداد

٨. كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي (ثمانية اجزاء) تحقيق مع الدكتور ابراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام (١٩٨٠ - ١٩٨٥) دار الحرية، بغداد

فضلا علي الدراسات والمحاضرات والأبحاث والمقالات والكتب المخطوطة المعدة للطبع وخاصة كتابيه (آراء مطروحة للمناقشة) و(الأصوات العربية)... رحم الله تعالي الدكتور مهدي المخزومي فقد كان حريصاً كل الحرص علي لغة القرآن.

انعطافات علم اللغة العربية
مهدي المخزومي رائداً

نبيل العطية

اذا كان الشاعر العربي قد قال: ينزل النحو من الكلام منزلة الملح من الطعام

فثمة من وصف النحو بانه علي احتراق!

وبين صفتي (منزلة النحو) و(الاحتراق) علي اختلافهما يبدو النحو علما ضروريا لاغني عنه لكونه مجموعة من الضوابط لتميز الكلام من خطئه وتقعيده علي وفق معايير الكلام واساليبه المتنوعة.

ان هذا (الاحتراف) لم يثبط همة الباحثين الجادين ولم يوقف عزمهم علي دراسته وتجديده وتطوير اساليبه ليكون في خدمة الاجيال العربية سهلا خاليا من تعقيدات المناطقة وتقديراتهم البعيدة وتأويلاتهم الغريبة. ولعل نظرية (العامل) وما نتج عنها اثر بين في خلق (التعقيد) وتوطيده (الغموض) تلك النظرية التي هاجمها شيخ الدعاة الى تجديد النحو واعني به ابن مضاء القرطبي في كتابه "الرد علي النحاة" المؤلف في القرن السادس الهجري. ومنذ ذلك الحين والدعوات التجديدية تتواصل والرغبة في تيسير النحو تتسع علي ان بعض النتائج الهادفة الى تحقيق التجديد لايخرج عن كونه دعوات قريبة من الهدم بعيدة عن الاصلاح. اما استاذنا المرحوم الدكتور مهدي المخزومي فهو احد البناة والدعاة المخلصين الى تجديد النحو برؤية عصرية تتوافق مع منجزات علم اللغة الحديث فهو واحد من اولئك العراقيين الذين ساهموا الى جانب اخوانهم المصريين والسوريين - بقد غير ضئيل - في محاولات تيسير النحو ومن هؤلاء:

١-شاكر الجودي في كتابه (تشذيب منهج بغداد / ١٩٤٩.

٢-يوسف كركوش في كتابه (رأي في الاعراب) النجف / ١٩٥٨.

٣-العلامة طه الراوي في كتابه (نظرات اللغة والنحو) بيروت / ١٩٦٢.

٤-الدكتور ابراهيم السامرائي واسم مصنفه (النحو العربي - نقد وبناء) ١٩٦٨.

٥-الدكتور نعمة رحيم العزاوي ومصنفه (من قضايا تعليم اللغة العربية - رؤية جديدة) بغداد / ١٩٨٨.

٦-الدكتور مصطفى جواد في كتابه في التراث اللغوي بغداد / ١٩٩٨ المتضمن مجموعة من المباحث الهادفة الى تيسير العربية بعنوان وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها .

اما مساهمة المخزومي فسنذكرها في الببلوغرافيا الواردة لاحقاً.

المخزومي وملامح من حياته

نهل المخزومي علمه من مجالس النجف الاشرف على مشايخها اولا، ثم اكمل دراسته في كلية الاداب بجامعة القاهرة وبعد تخرجه سنة ١٩٣٤ عاد الى بغداد مدرسا في ثانوياتها اربع سنوات ثم اتم تحصيله العلمي على يد ابراهيم مصطفى وامين الخولي ومصطفى السقا وقد زادته القاهرة شغفا بالدرس النحوي وحبا لا حدود له فرجع الى بغداد ليحاضر في جامعاتها وليتحف طلابه بمعارفه النحوية وبصره الثاقب وكان اسلوبه اسلوب العالم وجلده جلد الصابر ودأبه داب المتمكن.

لقد كان ميل المخزومي الى تيسير النحو العربي وتجديد شبابه ثمرة معاناة وناتج تدريس طويل وخبرة ميدانية.

فلا غرو ان عكف على التفكير الجاد بانتاج محاولات تجديدية هدفها خلق التواصل بين الجيل الجديد والقديم واطلاع هذا الجيل على ثمرات ابائه في واحد من علومهم المهمة. فكانت محاولته اصيلة ورغبته فيها جادة يقول الدكتور نعمة رحيم العزاوي في كتابه "في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث" ما نصه: لقد امتاز المخزومي بانه باحث مجدد احاط بالنحو العربي القديم ووقف على مصادره الاولى فاستوعبها، ثم تخير منها ماراه جديرا بان يوجه الدرس وجهة جديدة قصر المخزومي نشاطه العلمي على حقل النحو التأليف فيه باستثناء مشاركات تحقيقية مع عدد من زملائه.

ببلوغرافيا المخزومي

في ما يأتي ببلوغرافيا تتضمن نشاطه التأليفي:

١-مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ط١/ بغداد ١٩٥٥ - ط٢/ القاهرة ١٩٥٨.

٢-الخليل بن احمد الفراهيدي اعماله ومنهجه بغداد ١٩٦٠.

٣-في النحو العربي قواعد تطبيق المنهج العلمي الحديث القاهرة ١٩٦٦.

٤-عبقري من البصرة بغداد ١٩٧٢.

٥-في الدرس النحوي بغداد ١٩٧٥.

٦-اعلام في النحو العربي بغداد ١٩٨٠.

هذا اضافة الى عدد كبير من المباحث النحوية التي نشرها في دوريات عدة.

خلاصة فكرة التجديدي

وصفت محاولات المخزومي التجديدية انها انضج المحاولات وانها قائمة على رؤية علمية ملائمة للفكر اللغوي الحديث وتعتمد على نتائجه. فيما عد الدكتور حلمي خليل جهود الدكتور مهدي المخزومي اللغوية المحاولة الثانية في دعوات التيسير والاصلاح بعد محاولة استاذه ابراهيم مصطفى في كتابه "احياء النحو".

اما خلاصة الفكرة التجديدية عنده فتتمثل بالاتي بيانه:

١-اعتماده على المنهج الوصفي.

٢-استبعاد فكرة العامل.

٣-حذف بعض الابواب النحوية مثل نائب الفاعل وتسويقه بين الفاعل ونائبه.

٤-الاهتمام بالجملة لان الجملة ليست بناء لفظيا فحسب بل هي بناء من المعاني والافكار.

٥-تقسيمه الفعل الى ماض ومضارع ودائم بدل تقسيمه الى ماض ومضارع وامر.

المخزومي في اثار الدارسين

استرعت محاولات المخزومي التيسيرية الجادة انتباه جلة من الباحثين فعكفوا على مناقشة ارائه واستخلاص نتائجها او الاستشهاد بارائه والافادة منها او عرضها او الاقتباس منها ومن هؤلاء : د. صاحب ابو جناح، ود. عبد الله الجبوري، ود. زهير غانم زاهد، ود. ابراهيم السامرائي ، ود. عبد العال سالم مكرم، ود. عبد الجبار جعفر القزاز، ود. حلمي خليل ويوسف نمر ذياب ود. نعمة رحيم العزاوي، ود. محمد عبد المطلب البكاء.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2086)
السنة الثامنة
الخميس (31)
اذار 2011

الدكتور المخزومي بين النجف والقاهرة

د. حسن عيسى علي الحكيم

نشأ الاستاذ الدكتور مهدي المخزومي في مدينة النجف الاشرف بين اسرة علمية، ومجالس ادبي، ومنتديات ومناظرات فأخذ من هذا المجلس، وذاك المنتدى مبادئ الفقه والاصول والادب والكلام، ثم انضم الى حلقات البحث العلمي في الجامع الهندي الذي يعد من مؤسسات العلم الكبيرة في مدينة النجف، فدرس كتاب «معالم الاصول» على الشيخ عباس المظغر، وقد اذاف الى ثقافته الدينية، ثقافة ادبية، فقد كانت جمعية الرابطة العلمية الادبية منبعا من منابع الادب في النجف، فالتقى بعدد من الشعراء والادباء في هذه الجمعية، وجالس اخرين ممن كان يقصدها من العراق او الوطن العربي، وقد نشرت له الصحف والمجلات قصائد منها قصيدة «لقلم الضائع» منها:

قلمي عز ان تودع كفي
ضائعا بعد فتنتي بجمالك
ولئن كنت لم تفارق بناني
فخيالي لم ينفصل عن خيالك
ان يوما لم احظ فيه بلقياك
ليوم كلون حبرك حالك
ليت كفا اخفتك عني جذت
وخوؤنا اخفاك عني هالك
لكيما تغيب ذكراك عني
سلك اللائمون شتى المسالك
لا تخلني انساك يوما
وهل ينس حبيبا محبه هالك!؟

وقد عاصر الدكتور المخزومي طلائع النهضة الادبية في مدينة النجف، التي حما لواءها الشيخ جواد الشبيبي والسيد محمد سعيد الحبوبي، فكان من جيل

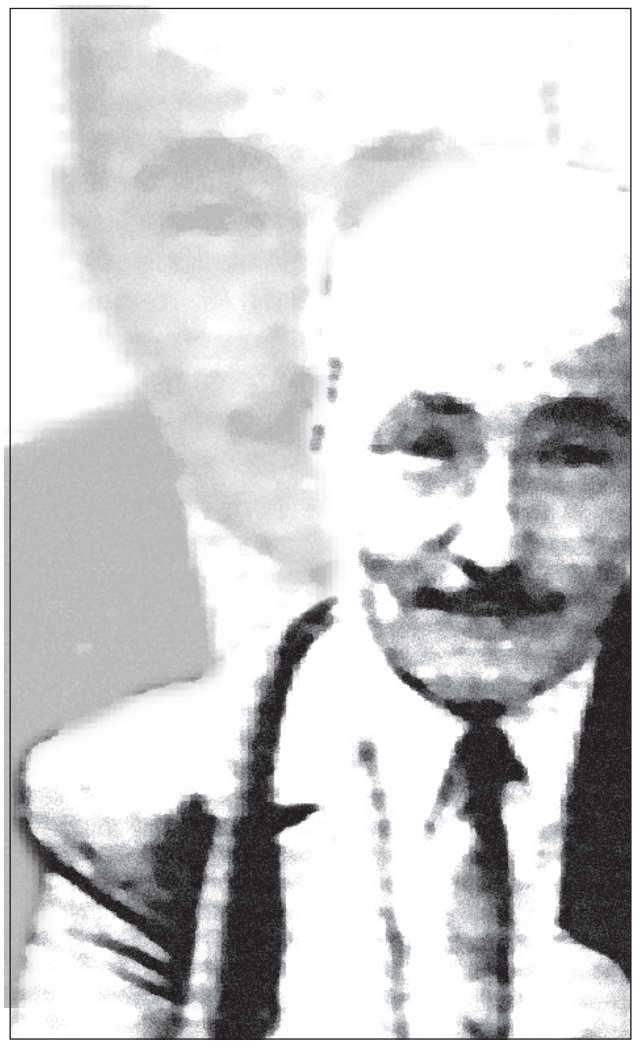

الشيخ علي الشرقي والاستاذ محمد مهدي الجواهري والسيد احمد الصافي النجفي والشيخ محمد علي اليعقوبي والشيخ عبد المنعم الفرطوسي وغيرهم من الشعراء والادباء.

وحينما سافر الاستاذ المخزومي الى القاهرة والتحاقه بجامعة فؤاد الاول عام ١٩٣٨، ولم تنقطع صلته بالنجف، وبعد حوله على شهادة البكلوريوس وعودته الى العراق اخذ يكتب في الصحف والمجلات النجفية داعيا الى الاصلاح في المدرسة النجفية، فقد اراد ان تأخذ هذه المدرسة اصول الدراسة الجامعية الحديثة على غرار ما حصل في جامعة الازهر التي تلتقي بعض اساليب الدراسة فيها مع النجف ومعاهدها، وكان الدكتور المخزومي قد حمل ملامح المدرسة النجفية في رسالتيه للماجستير عام ١٩٤٨ والدكتوراه عام ١٩٥١ الى القاهرة فكان كتاب «الخليل بن احمد الفراهيدي» وكتاب «مدرسة الكوفة» هما حصيلة ثقافة المخزومي التي استقاها من مدرسة النجف، وقد تبلورت على ايدي الاساتذة المصريين من امثال: الشيخ امين الخولي والدكتور طه حسين، والاستاذ ابراهيم مصطفى والاستاذ مصطفى السقا، وقد اشار هذا الاخير الى دور النجف والقاهرة في ثقافة الدكتور المخزومي بقوله: «اني لقدم للعالم العربي اثرا نفيسا من اثار استاذ عالم محقق شاب انجبته العراق شاركت مصرنا العزيزة في تثقيفه وتخريجه على احدث المناهج العلمية وادقها وارجوا ان يكتب بذلك من الخالدين» وقد اوضح الاستاذ مصطفى السقا في مقدمة كتاب «مدرسة الكوفة» للدكتور مهدي المخزومي اهمية هذا الكتاب ومكانة مؤلفه العلمية فهو يعبر عن عمق ثقافته في النحو العربي ولاسيما «النحو الكوفي الذي احتل مقاما في الجامعة المصرية، وقد اشار الاستاذ السقا في مقدمة كتاب النحو العربي: قواعد وتطبيق وعلى ضوء المنهج العلمي الحديق» للدكتور مهدي المخزومي قائلا: «وتمتاز كتب الدكتور المخزومي عامة نظرية او تطبيقية بعمق البحث ووضوح المنهج وسهولة الترتيب والاعتماد على اراء ائمة النحو واستخلاص اهم العناصر والاراء التي تصلح لاقامة صرح النحو الحديث على اصاول علمية خالية من التأثر بالفلسفة والمنطق.

واخذ الدكتور مهدي المخزومي في رعاية النحو الكوفي وقد اكد في كتابه «الدرس النحوي في بغداد» على ما يسمى بالمدرسة البغدادية وهي المدرسة الكوفية نفسها والمدرسة البصرية، ومن المؤسف اننا لم نجد اليوم من يخلف الدكتور المخزومي في رعاية النحو الكوفي ومدرسته عسى ان يقضي الله تعالى ذلك الوريث، وكان الاستاذ الدكتور علي جواد الطاهر قد اكد على اهمية مؤلفات الدكتور المخزومي في النحو العربي، وبخاصة ما قدمته رسالتاه الجامعيتان (الماجستير والدكتوراه) من اراء ونظريات بقوله: «وليس سهلا ان يجرؤ طالب على هذين الموضوعين وهما ماهمها من قوم اللغة العربية في نحوها وصرفها وفقهها وحجمها».

مهدي المخزومي وإصلاح النحو العربي

عبد العزيز المقالح

رأيته مرة واحدة في جامعة القاهرة، كان ذلك في أواخر الستينيات كما ما زلت أتذكر. وكان في زيارة علمية، ربما
لمناقشة احد طلاب الدكتوراه في رسالة عن النحو.
لفت انتباهي الاهتمام الذي يلقاه من أساتذة اللغة العربية في كلية الآداب. يستوي في الاهتمام به المتخصصون في النحو أو النقد الأدبي أو العروض أو أساتذة اللغة الفارسية أو العبرية. كانوا جميعاً ينظرون إليه بإكبار قلما حدث لزائر آخر.

كنت شغوفاً مع بعض الزملاء الذين أسعدتهم الحفاوة بأستاذ عربي من خارج الجامعة، بل من خارج مصر أن نلتقي هذا الأستاذ وأن نتحدث إليه أو بالأحرى نشكو إليه بعض ما نعانيه من بعض القواعد النحوية التي أرهقت أعصابنا ولم نجد لها تفسيراً مقبولاً، لكن شغفنا تبدد ولم يسعدنا الحظ بلقاء ذلك الأستاذ الجليل الذي قيل لنا – يومئذ – أنه واحد من عدد من الأساتذة المعاصرين يعدون بأصابع اليد الواحدة ممن يجتهدون في إصلاح وضع النحو العربي وتطويره ليواكب روح العصر وما يفرضه اتساع دائرة التعليم من تسهيلات توقفت عندما انقطع الاجتهاد وساد الوطن العربي حال من التراجع والانغلاق أفضى إلى ظهور العصور التي وصفت بالانحطاط والاجترار والتخلف، وهي عصور باعدت – حقاً – بين العربي وقواعد لغته، كما باعدت بينه وبين الأسس التي قامت عليها الحضارة العربية بأبعادها الروحية والثقافية والمادية.

وزاد سوء حظنا، نحن الذين تفاءلنا بمقابلة الدكتور المخزومي وجهاً لوجه عندما اكتشفنا أن كتبه غير موجودة في مكتبة الجامعة ولا في أية مكتبة في القاهرة، وإن كان الحديث مباشرة مع الأستاذ يختلف عن الحديث مع كتبه

لاسيما في درس النحو الذي يختلف اختلافاً تاماً عن كتب الأدب والنقد الأدبي. وقد زادت أهمية الدكتور المخزومي بالنسبة لي – في الأيام الأخيرة وبعد أن تابعت جانباً كبيراً من أرائه في النحو وعلاقة النحاة الخاطئة بالمنطق الذي أفسد قواعد النحو وحاصرها بالصعوبات. كما يزداد اهتمامي به وبأفعاله اتساعاً كلما اقتربت من الألسنية وما تفرع عنها من مدارس بنيوية حديثة يلتصق بعضها بالدرس النحوي التصاقاً يكاد يكون وثيقاً، كما هو الحال – على سبيل المثال لا الحصر – عند نعوم تشوسكي. الذي جعل النحو التوليدي مداراً لنظريته الألسنية الجديدة.

إن الدكتور المخزومي واحدٌ من النحاة العرب المعاصرين الذين اجتهدوا في أن يعيدوا للنحو لغويته إذا جاز التعبير، وسعوا إلى الابتعاد به عن الجدل والخلاف الكلامي وعن موضوعات المنطق والفلسفة. ويبدو أن الأجل وافاه قبل أن يحقق هدفه، لأنه لم يجد من علماء عصره المتخصصين في هذا المجال ولا من المؤسسات العلمية من يساعده على تخليص النحو من سيطرة المنطق ومناهجه، وتحريره من أصحاب هذا القول " إذا بطل أن يكون النحو رواية ونقلاً وجب أن يكون قياساً وعقلاً " إلى آخر ما في جعبة هؤلاء النحاة المناطقة " من مقولات تجعل من الدرس اللغوي " هجيناً لا هو باللغوي ولا هو بالمنطقي" على حدّ تعبير الدكتور المخزومي.

ولمن يرغب من الدارسين في أن يشهد أطرافاً من معارك هذا الأستاذ الراحل الجليل في سبيل إصلاح النحو العربي، والعودة به إلى طبيعته وكما هو في سائر اللغات قواعد إعرابية أن يقرأ كتابه (قضايا نحوية) الصادر في العام الماضي (٢٠٠٣م) عن المجمع الثقافي، في أبو ظبي. فقد أودع الدكتور المخزومي في هذا الكتاب خلاصة ثورته وتجربته في هذا المجال ولعل الإشارة الآتية وموقعها مستهل المقدمة توحي بألم المعاناة وضياع كل الجهود الهادفة إلى الإصلاح والتسهيل : " مازال الدرس النحوي معضلة يواجهها الدارسون و"مشكلة " لا تزال تستعصي على الحل، والحصار إنما يقع على الأجيال المتعاقبة التي عانت هذه المشكلة وعايشتها، وأرادت حلاً، ولكن الحصار المضروب حوّلها من الفكر المحافظ المشدود إلى الوراء كان سوراً منيعاً من التقاليد ومن عبادة القديم، لأنه قديم، حتى إن أصوات الاستغاثة كانت ترتد عن أصداء باهتة لا تلبث أن تضمحل، لأنها كانت تنشد الحل عند أولئك الدراسين الذين كانوا هم أنفسهم قد وضعوا الدرس في هذه المحنة إذ درسوه في غير منهجه، وانحرفوا به إلى وجهة أخرى لا تلائم طبيعته، ومهدوا الدرب للمنطق والكلام أن يتسللا إلى أبوابه وفصوله وموضوعاته اللغوية الخاصة ".

مجلة الاقلام حزيران 1994

المخزومي
عاش حياة العلماء.. وودعها وداع العظماء

د. زهير غازي زاهد

مرت جمعة وجمعة ثم مر العيد ولم نجتمع في لقائك كما اعتدنا، لقد كنا نحس ونحن في مجلسك اننا في حضرة الخليل الفراهيدي الذي احببته وخصصته بكتابين ولطول ما اعجبت به ورددت سيرته مثلته خلقا وعلما ومعرفة وزهدا في الحياة ومغرياتها وابداعا وحرصا في الحفاظ على لغة التنزيل... فقد عشت حياة العلماء وودعت الحياة وداع العظماء.

لا نستطيع ايها الراحل العزيز ان ننسى لحظات وداعك الاخيرة حين كنا معك في آخر مجلس وآخر حرف نطقت به. في يوم الجمعة اشرف الايام وفي رمضان اشرف الشهور بعد الثانية عشرة بنصف ساعة من ظهر يوم ١٩٩٣/٣/٥ كنا خمسة من مريديك وتلامذتك نعتذر اليك عن تأخرنا، وبعد ان اخذنا مجلسنا في حلقة ابوية علمية القي تاليك ما قرأته في كتاب الزبيدي (طبقات النحويين واللغويين) من قول الخليل: القياس باطل، وانا اعلم حبك للخليل وحرصك على الاحاطة بكل اقواله، وحين سماعك سؤالي طفقت تتحدث بيقظة ونشاط ملأنا فرحا وشدنا اصغاء. الخليل انت درسته رأس الابداع العلمي في العربية وصاحب اول معجم شامل وصاحب اول نظرية في عروض الشعر وعلى يديه نضج علم النحو واصبح علما مستقلا جمعه سيبويه في (الكتاب) الذي نسب اليه وامتلأ بأقيسته كل ذلك تجمع في كلماتك وعبرت عنه ملامحك... اذ بدأت بقولك، ما عناه الخليل هنا في اغلب الظن القياس في الفقه على قول لا في اللغة، فالخليل كان صاحب قياس في اللغة وقياسه قياس الشبه وهو قياس لغوي. لم يكن قياس الخليل قياس منطق عقلي فهذا القياس خارج اللغة. كنا نصغي الى حديثك بل نود ان نسجل انفاسك وان يستمر هذا التحليق في افاق نشوة العلم معك، ولم ندر ان ذلك الحديث هو آخر ما نسمعه منك ففي لحظة قوله ان قياس المنطق خارج اللغة لأن... لا... وضع يده على جبهته واتكأ فجأة على كرسيه مسبلا يديه وكأنما اخذته إغفاءه فاجأته وفاجأتنا... ظننا لحظة اعياء وتعب اسرعنا الى معالجته واسعافه ثم اسرع جاره الطبيب الحاذق الى تدارك الامر بعلاجه السريع ونظر الينا ونحن نحيط به ذاهلين... نظر الينا بانكسار قائلا: لا فائدة سكت قلبه منذ لحظة وضع يديه على جبهته، سكت القلب الذي واجه الحياة باباء وودعها بهدوء والبسمة على ملامحه للقاء الحبيب العظيم... الم يكن من اكبر حراس لغة التنزيل الكريم في عصرنا؟

كان المخزومي يعد العلم وايصاله الى طالبيه رسالة يجب على العالم ان يؤديها. كما يجب على صاحب العلم ان ينهج في تأديتها نهجا واضحا سليما ليقدر على ادائها، وعلم العربية يرتبط بلغة امة وحضارة وايصاله الى طالبيه للحفاظ على سلامة هذه اللغة وتطويرها ينبغي ان يكون في اوضح السبل وايسرها لذا كان المخزومي صاحب منهج في اللغة ثم صاحب محاولة لتيسير الاحاطة بها والافادة منها، وكل جهوده بنيت على هذين الاساسين، تحديد المنهج العلمي لمعالجة العربية لكي يتضح للدارس سبيل اخذها والالمام بها ثم سلوك سبيل التيسير وعدم التعقيد ليبلغ الدارس الغاية والهدف من العلم بها فيكون سبيل الاحاطة بها سالكا غير وعر ولا موحش.

كانت بداية نشاطه في ذلك مقالاته التي نشرها في ثنايا عقد الاربعينات وهو مدرس في دار المعلمين الريفية في الرستمية من٤٣-١٩٤٧ ثم سلك سبيل الماجستير عن (الخليل بن احمد الفراهيدي-اعماله ومنهجه)-١٩٥١م والثاني رسالة الدكتوراه (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو) ١٩٥٣م كان بهذين العملين العلميين قد احاط بالدرس النحوي ومنابعه الصافية قبل ان تشوبها شائبة المناهج الدخيلة عبر القرون المتعاقبة وبكتابه (الدرس النحوي في بغداد) اكمل حلقة احكمها محددا مذاهب الدرس النحوي ومدارسه بوضوح فكرة وسهولة اسلوب وقوة حجة فهي بين مذهب بصري وهو الاصل امتاز بخصائص ثم مذهب كوفي وقد تفرع من ذلك الاصل وامتاز بخصائص ايضا وكان يرى ان منهج الكوفيين في النحو استمرار لما بدأه الخليل في النظر اللغوي وهو ما يمكن ان نصفه بالمنهج الوصفي مع مراعاة العصر الذي كان فيه وبدايته المسائي تلميذ الخليل ورأس الكوفيين...

بعد عودته من مصر وتحصيله العلم على اكبر مجددي الدرس النحوي استاذه ابراهيم مصطفى صاحب كتاب (احياء النحو) الذي وصل دعوة اصلاح النحو بابن مضاء القرطبي في رده على النحاة. فكان للعربية على أيدي ابراهيم مصطفى في مصر ثم الدكتور مهدي المخزومي والدكتور احمد عبد الستار الجواري في العراق عهد جديد في المنهج والدرس... بعد عودته من مصر اشاع اراءه وعلمه في اصلاح النحو بمحاضراته في جامعة بغداد ثم جامعة الرياض وفي بحوثه التي نشرها. ثم وضع نظريته وافكاره في قضايا العربية ومنهج تيسيرها في كتابيه.

(في النحو العربي- نقد وتوجيه) و(في النحو العربي قواعد وتطبيق) فهما خلاصة محاولات تيسير النحو من ابن مضاء المتوفي ٥٩٢هـ الى شيخه ابراهيم مصطفى، هذه المحاولات يشد بعضها بعضا وآخرها امتداد لأولها وكل ما ظهر بينها فهو يجري في مجراها او يذهب الى ما قاله القدماء لا يخرج عن ذلك وتعد محاولة المخزومي والجواري واستاذهما ابراهيم مصطفى لتيسير النحو محاولة جادة انطلقت من تراثنا اللغوي نحو تطويره والنظر الى الدرس النحو الحديث نظرة بنائية، وكانت الى جانبها محاولة بناءة افادت من التراث العربي كما افادت من الدرس اللغوي الحديث في اوربا خاصة هي محاولة الدكتور تمام حسان وكمال بشر ومحمود حجازي في مصر وهي محاولة جادة مهمة حاولت دفع الدرس اللغوي الى آفاق الجدة والحداثة.

كان المخزومي صوتا عاليا وجهدا جادا في مجال الدرس اللغوي لفت انظار الدارسني في العراق والوطن العربي وقعت محاولته الجادة لاصلاح بين رضى المجددين واعجابهم وسخط السلفيين التقليديين في فهم النحو واللغة كما وقعت قبله محاولة ابراهيم مصطفى بمصر وكذا كل دعوات التجديد في التاريخ، فالحياة الفكرية لا يمكن ان تبقى راكدة جامدة كما يراها المحافظون التقليديون فلابد من حركتها وتحريكها لكن هذا الخلاف ينبغي ان لا يخرج عن حدود الموضوعية العلمية الى منطقة العواطف والحساسية التي قد يكون سببها عدم فهم الجديد الذي كثيرا ما يؤدي الى عدم قبوله وحسد اصحابه او النقمة عليهم.

لقد كانت كتب المخزومي وبحوثه تتسم بوضوح المنهج وحداثة الرؤية وقوة العبارة وسلاستها مع سهولتها وبلاغة تركيبها. نأمل ان يتناولها الدارسون بالدرس بصورة اوسع لما لها من اهمية للدرس اللغوي الحديث ووفاء لشيخ اجيال من الاساتذة كما نأمل من الجهات المسؤولة اعادة طبع كتبه لما فيها من اهمية للدارسين والعناية بطبع ما بقي مخطوطا من كتبه ومنها كتابه (آراء مطروحة للمناقشة) وكتابه في الاصوات العربية. ينبغي ان يكون غياب علمائنا حافزا لعنايتنا بتراثهم ودافعا لرعايتهم احياء قبل غيابهم.

رحمك الله يا كبير علماء عصرنا فأنت حاضر في أنفسنا وأنفس من تتلمذوا على يديك وعلى علمك فغياب العلماء غياب لأجسادهم اما افكارهم وأقوالهم وسيرهم فتبقى حية تنمو وتتولد وتتسع نورا في آفاق الاجيال.

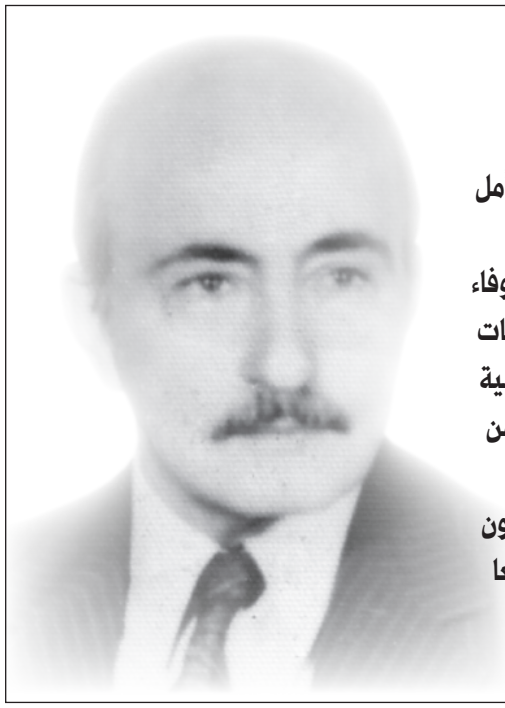

لقد كانت كتب المخزومي وبحوثه تتسم بوضوح المنهج وحداثة الرؤية وقوة العبارة وسلاستها مع سهولتها وبلاغة تركيبها. نأمل ان يتناولها الدارسون بالدرس بصورة اوسع لما لها من اهمية للدرس اللغوي الحديث ووفاء لشيخ اجيال من الاساتذة كما نأمل من الجهات المسؤولة اعادة طبع كتبه لما فيها من اهمية للدارسين والعناية بطبع ما بقي مخطوطا من كتبه ومنها كتابه (آراء مطروحة للمناقشة) و(كتابه في الاصوات العربية). ينبغي ان يكون غياب علمائنا حافزا لعنايتنا بتراثهم ودافعا لرعايتهم احياء قبل غيابهم.

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير: علي حسين

التصميم: نصير سليم

التصحيح اللغوي: عبد الرزاق سعود

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

أأبا مهند

لشاعر العرب الاكبر محمد مهدي الجواهري

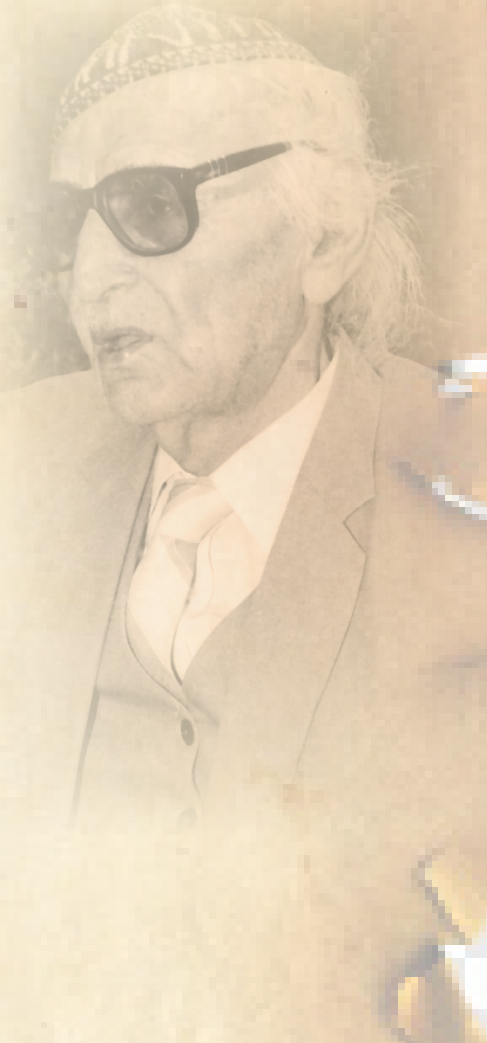

أأبا مهند والجراح فـَمُ
وعلى الشفاه من الجراح دمُ

وعلى الشفاه تمور طاغيـةٍ
حُرقٌ تُصعد ثم تنـهزمُ

أأبا مُهندَ يا أخا خَلصـتْ
منْه الطباعُ وطابت الشيمُ

تُعلى الفصاحة من صباحته
وَيزينُ رقةَ لطفهِ التَّمَمُ

أشكُوإليكَ وانْ زَوَى ألمي
غَضَبٌ تقاصرَ دُونهُ الألَمُ

أرضاً تناسخت الشرُّور بها
وتهاوت الأقدارُ والقيـمُ

ياصائغ البدع الحسانِ
بها يتجاوبُ الإحْساسُ والنغمُ

بيني وبينك في الهوى صلةٌ
ما إن يجيءُ بها رحـمُ

حججٌ تخُبُّ بنا ونحنُ فمٌ
لفم بحبل الصبر نـعتصمُ

نتقاسمُ الآهات يجمعنا
في النائباتِ الهمُ والْهمَمُ

نشدُو فيَنسجمُ الهوى شرقاً
بالحُبِّ والنجوى وننسجمُ

وَتُضيءُ شمعَتنا فيُطفئها
مُغْبرٌ درْبِ كُلُهُ ظلـمُ

أأبا مُهَندَ والجراحُ فمُ
وفَمي بهِ منْ جُرحه وَرَمُ

ماذا سيبقى لامريءحُجبتْ
عَنهُ الرُؤى–والرأي– والكلمُ

أأبا مُهَند رُبَّ عَافيَـةٍ
خرساء يحمدُ عندها السقمُ

لا أظلمُ التسعين يْعوزُها
ست سيطبقُ بَعدها العدمُ

فلطالما شدُتْ نوابضُها
بالأربعينَ وَكُلها ضـرَمُ

القصيدة كتبها الجواهري في رثاء الدكتور مهدي المخزومي

عراقيون
من زمن التوهج